حافية

على جسر طبرية

من قلب تل أبيب لقلب القاهرة

obeikandl.com

الكتاب: حافية على جسر طبرية

المؤلف: روان عبد الكريم

تصميم الغلاف: علاء محمود

تدقيق لغوي: إيمان الدواخلي

رقم الإيداع: ٢٢٧٠٦ /٢٠١٣

الترقيم الدولي: ٩-٤٥-٦٤٣٦-٩٧٧-٩٧٨

الطبعة الأولى: ٢٠١٤

٢٠ عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت-٠٢-٣٥٨٦٠٣٧٢ ٠١١-٢٧٧٧٢٠٠٧

Noon_publishing@yahoo.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

obeikandl.com

حافية

على جسر طبرية

من قلب تل أبيب لقلب القاهرة

روان عبد الكريم

للنشر والتوزيع

obeikandl.com

obeikandl.com

إهداء

إلى كل من أحب مصر وأخلص لها

إلى ابنتى الحبيبة إيمي

إلى شقيقتي ايمان التي أسعدها هذا العمل

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

طبـريـة - تـل أبـيـب

زفرت ديان بحنق، وهي تقف بسيارتها في رتل السيارات المكتظة على الطريق السريع من طبرية لتل أبيب.. لا يستغرق الطريق أكثر من ساعتين، لكن ثمة حالة طوارىء قصوى، جعلتهم يغلقونه. ضحكت بسخرية:-

- منذ متى لم يكن لديهم حالة طوارئ..

رن الجوال بجانبها، وأضيئت الشاشة برقم راؤول.. عنفت نفسها بشدة وغضب على الورطة التي وضعت فيها نفسها.. مازال الرنين يتواصل.. وضعت الجوال في جيبها، ولم تجب. ترجلت من سيارتها الصغيرة، لتتنفس قليلا من الهواء النقي ولم تنسَ أن ترتدي السترة الصفراء العاكسة، حتى لاتصاب بأذى.

كانت الساعة تشير لنحو الثانية عشر مساءً بتوقيت تل أبيب.. رن الجوال مرة أخرى برقم راؤول، فصرخت وهي تغلقه كليًا

- اللعنة!

لقد سلمت نفسها كليا الليلة لرؤول..هو من اقترح رحلة بحيرة طبرية، وقضاء الليلة في أحد الفنادق هناك.. وصلا نحو السابعة مساء الجمعة، وكان المقرر أن يمكثوا عطلة السبت كلها هناك، ثم قررت هي المغادرة في نحو العاشرة مساء الجمعة. تركته يغط في نوم عميق، وجسدها يشمئز قرفا.

عادت بأفكارها لخالد؛ ولم تكن المقارنة أبدا في صالح راؤول. تتذكر وهي تتذوق من يده ماء طبرية العذب؛ كانت تحب دائما، في كل زيارة، أن تتذوق مياه البحيرة من يده. صوت خالد يفتح نوافذ قلبها على مصراعيه، بينما صدمت من صوت راؤول، الذي جعلها أحست أن كل بؤر الجحيم اندلعت لتحرقها.

أخرجت من سترتها علبة سجائرها.. أدمنت السجائر في الفترة الأخيرة. أشعلت سيجارتها، إلا أن انهمار الأمطار الفجائي أطفأها على الفور. تخللت أصابعها في خصلات شعرها البنية القصيرة، الذي قصته مؤخرا. كان خالد يحبه طويلا منسدلا حتى خصرها.. همست بضعف، والأمطار تلحف وجهها بقوة:

- لا شيء يكتمل.

تمنت لو الأمطار العاصفة مزقت جسدها، أو نقلتها لأرض أخرى أو زمن آخر.. أحست بالدنس يجتاحها، نخرت الرياح الباردة الهوجاء عظامها.. لجأت لسيارتها القابعة على جانب الطريق، وليكتمل نحس اليوم.. لسوء حظها، نسيت المفتاح داخل السيارة. أحست أن في جبينها طعنة من خيبة الأمل المكتملة. دارت بعينيها في الشارع حولها، وجدت حجرا على جانب الطريق، فأخذته، وكسرت النافذة الجانبية، وأخذت المفتاح. في بلد كإسرائيل، ليس من المستحب أبدًا طلب مساعدة من أي كان.

جلست خلف المقود، وقد أغرقت الأمطار، وبعض فتات الزجاج بعضا من داخل السيارة. أردات البكاء بشدة، ولكنها شعرت أنها

تستجدي الدموع على أرصفة الأمل. أي أمل تنتظره؟.. ماحدث قد حدث، ولا شيء سيعيد خالد، الذي سلمته بيدها وليمة لذئاب الشين بيت(١)

لم يكن ما حدث سهلا، بل لقد تصارعت مشاعرها بعنف، في غابة الحب والوطن حتى اختار قلبها وطنها إسرائيل.هي لم تعرف في حياتها أمًّا سوى إسرائيل.. هجرتها أمها منذ طفولتها، التي قضتها كلها في الكيوبتس(٢) حيثت تعلمت هناك أن تنتمي فقط للدولة إسرائيل.

بدأ رتل السيارت في التحرك ببطء شديد، ثم تسارعت مع توقف الأمطار..تنفست ديان الصعداء، وتركت أفكارها جانبا. نحو الواحدة صباحًا، عبرت سيارتها، بزجاجها المحطم، بوابة مدينة تل أبيب، فاسترعت أنت باه إحدى دوريات الشرطة. طلب منها الضابط التوقف والنزول بهدوء، فتشها بمكر ويده تعبث بجسدها النحيل. نظرت له بكراهية، فأصبح أشد صرامة معها، ثم طلب منها بطاقة هويتها وانتظرت الكلمة التي تؤلم أذنها،كالعادة..

- ديان الليثي.. ديان أحمد الليثي..

أضاف وأساريره تنطق بالكراهية:

- عربية

أجابت في مقت:

- بل إسرائلية يهودية.

أبرزت بطاقتها الأخرى، التي تبرزها في مثل هذا الموقف..

- ديان الليثي مبرمجة كومبيوتر.. وزارة الدفاع الإسرائيلية

أي ضابط شرطة صغير في إسرائيل يدرك خطورة وظيفتها وقوة اتصالها؛ لكن هذا لم يمنعه أن ينظر مرة أخرى في بطاقتها. تبلغ الثامنة والعشرين من عمرها، الأمر الذي يتناقض تماما مع مظهرها المراهق، والنمش الذي يغطى وجهها، وخصلات شعرها التي جفت والتصقت بجبينها. نزعت البطاقة بقوة من يده، ودخلت إلى سيارتها، دون أن تعيره أدنى التفاتة. أدارت سيارتها وهي تغمض عينيها، وأعماقها تربد يغضب مريع.لا لمزيد من الحمقى اليوم!

في الواحدة والنصف، دلفت لشقتها في أحد مباني تل أبيب الحديثة، بعد أن سلمت سيارتها لحارس الجراج. أخرجت ثلة من المفاتيح، للباب الحديدي ثم الباب الداخلي للمبنى، تجاهلت المصعد..كانت متعبة، لكن بها شيء من الطاقة تأبى أن تحترق. أدارت مفتاح شقتها، ليأتيها صوت من خلفها، يكمل تعذيبها لهذا اليوم

- ديان...افتقدتك اليوم

تدير جسدها، وهي تحاول أن ترسم ابتسامة باهتة في وجه المرأة العجوز. استغربت الحجاب الذي يغطي رأسها، والعباءة التي أخفت جسدها..لم تتعود كل هذا التحشم من ليلى أم خالد!

أخرجها صوتها من أفكارها السوداء:

- أليس هناك أنباء عنه ديان؟..

ثم مسحت دمعة فارة ساخنة..

- أتراه مازال حيًا؟..مرت ثلاثة أشهر.

اقتربت منها ديان وهي محتارة..

- ليلى.. ليس لدي أي أخبار.. لا أعرف لأين أخذوه.

ربتت ليلى على كتف ديان بأمومة..

- لا بأس يا ابنتي لا بأس.. تحملي تهرؤات عجوز تبكي وحيدها.

أومأت ديان، وعيناها تهربان من نظرة ليلى المنكسرة..

- لا بأس، أراك في الصباح.. إنني متعبة الآن.

دخلت شقتها، نظرت لصورته العابثة وضحكتة الحنون في صورته الكبيرة النابضة بالحياة، التي تحتل حائطا بأكمله، أهدته له في عيد ميلاده السابق.. ثمة سنة نصف مكسورة جانبية تظهر في فمه، بينما تلمع عيناه في مكر وشقاوة. تمنت لو تكسرت كل عقارب الساعة، وعاد بها الزمن حيث هي وخالد فقط. ارتدت تي شيرت يصل لمنتصف ركبتها.. أحضرت البيتزا التي اشترتها بالأمس.. مازالت صالحة للأكل..لعلها برودة الجو.. لم تهتم بتسخينها، غص حلقها بأول لقمة، فلفظتها وتركت الباقي جانبا.

نظرت مرة أخرى لصورة خالد.. ثم أدارات بصرها في أرجاء الشقة. ثمة شيء غريب.. نور المطبخ مضاء.. تشعر بحركة ما فيه.. ثم انطفأ نور المطبخ مرة أخرى. راقبت الجسد الذي يقف على باب المطبخ مدثرا بالظلام، وقلبها يبنبض بارتياع، وصرخت

من؟

هوامش الفصل الأول:

(١) شين بيت: جهاز الأمن الداخلي في إسرائيل.

(٢) كيبوتس: تجمع سكاني زراعي اشتراكي متقشف، تتلاشى فيه فردية الشخص، ويصبح الولاء للأمة اليهودية.

الفصل الثاني

ضائعة في تل أبيب

قبل أن تصرخ ديان، ظهر الجسد الطويل الممشوق، ممسكًا بكوب من مشروب يتصاعد البخار منه. تقدم تجاهها بثقة وهي تهتف بقوة:

- جنرال حاييم موفاز

ذهبت لتضغط على زر النور لمزيد من الإنارة، فأدركها بإشارته، وبهدوء قال:

- اجلسي ديان.. هذه الإضاءة كافية لي تمامًا

جلست، وألف سؤال يتصارع بداخلها.. لماذا أتى؟ ترى هل أنت هي الأمر يا خالد؟!

*****

تذكر حين دلفت مترددة لجهاز الشين بيت، مدلية بشكوكها في خالد. يومها جلست قرابة الساعة، حتى أتى هو.. نفس الكهل الذي يجلس أمامها ويضع ساقا على ساق ويرتشف ببطء مشروبه. يومها عرفت فقط اسمه، وقد لا يكون اسمه بأي حال من الأحوال. وأنبأتها خبرتها بكينونته؛ من المؤكد أنه ينتمي لـ (أمان- جهاز المخابرات الإسرائيلية)

صمتت ديان تمامًا، وهو يركز في سقف الغرفة.. تعلمت ديان الصمت من إقامتها في كيبوتس نهاريا. دائما هي ديان المطيعة، تتعرض

openkandil.com

للضرب من جميع إخوتها في الكيبوبتس ولا تشكو..لم تكن لديها أم لتشكو إليها.. تتحمل مداعبات المعلمين والمعلمات المتحرشة، فلا تتأفف.لم تخرج من الكيبوتس سوى بشيئين: الصمت، وحب بلدها.. حبًا زادها انخراطها في جيش الدفاع فور خروجها من الكيبوتس، حيث أمضت هناك ثلاث سنوات إجبارية بمزيدٍ من الصمت والتحرشات.

*****

وضع الكوب بصوت مسموع، فانتفضت ديان منتبهة من شرودها. قال بصوت متعجب وهو يتثاءب:

- تأخرت اليوم كثيرا ديان

ثم نظر إليها مباشرة..

- أم كان من المفترض أن تأتي الغد.. هل أضجرك راؤول كثيرا يا عزيزتي؟

قالت بشيء من الحدة:

- لا أحب التطرق لأموري الخاصة

أشار إليها بصرامة أن تجلس مرة أخرى، فجلست وهي تنتفض وتغلي من الغضب، ثم جمعت شتات نفسها..

- هل لي أن تخبرنى سيدي بسر زيارتك المفاجئة؟.. نفذت كل ما اتفقنا عليه بخصوص خالد.

ضحك حاييم في هدوء..

obeikandl.com

- لم آت اليوم من أجل خالد، ديان العزيزة، بل أتيت من أجلك أنت عزيزتي

رسم جبينها ألف سؤال، وهي تسأل في شك:-

- من أجلي أنا!..

الشخص الوحيد الذي اعتاد الاهتمام بها وحمايتها هو خالد نفسه.أوما حاييم وهو يهز ساقه في رتم بطئ:

- بالطبع ديان..نهتم لأمرك كثيرا.. نعلم أن خيانة خالد كانت مؤلمة لك ولنا. إنك تتترنحين ديان.. لا تركيز مطلقًا في عملك، وحتى الترقية التي حصلت عليها لم تسعدك، وحتى راؤول الذي وضعناه في طريقك هربت منه بعد سويعات قليلة.

ترقرت عيناها بالدمع وهي تغمم:-

- وضعتموه في طريقي!

قام حاييم ووضع يديه على كتفيها..

- نعلم كم تعانين ديان.. إسرائيل لن تتركك تعانين في صمت أيتها البطلة.. أنت واحدة من أخلص بنات إسرائيل، رغم حبك الشديد لخالد، الذي مازلت تحبينه.

اعترضت في ضعف، فأشار إليها أن تدعه يكمل..

- رغم حبك له.. عند أول شك في ولائه، أبلغت القيادات عنه.

وضع يده على الأريكة، وهو ينظر لها بنظرة جانبية..

- أريد أن تريحي ضميرك ديان. إننا نملك أقوى جهاز مخابرات في الشرق الأوسط، إن لم يكن في العالم، ونضع عرب إسرائيل على قائمة الشك لدينا.. خالد كان مرصودا من قبل عدة أجهزة. لدينا شك فيه، منذ رفض الخدمة في جيش الدفاع، كما فعلت ليلى أمه. صحيح أنها كانت تعمل في قسم التمريض، ولكنها قدمت خدمات جليلة لبلدها.

مسحت بأناملها دموعها القليلة، وهي تقول بلا مبالاة..

- تجنيد عرب إسرائيل ليس إجباريًا مثلنا

وافقها حاييم..

- لكن كنا نتوقع منه هذه الخطوة، تظرا لحماسة ليلى الشديدة لخدمة إسرائيل. لكنه فضَّل أن يسافر لوالده في ألمانيا ويدرس الطيران هناك. المؤسف، أنه رغم تعينه كطيار إسرائيلي في العال، وإقامته الطويلة بعدها في إسرائيل، وهذا أمر استثنائي تمامًا، كنا نتوقع منه قليل من الولاء لبلده، التي ولد بها وتربى وحمل جنسيتها

تنهد..

- ولكن - كما أخبرتك- دائما نخشى الدماء العربية القذرة، التي تملأ أوردة هؤلاء المتجنسين بجنيستنا.

نظرت إليه ديان بحدة، فتراجع حاييم معتذرا..

- لا تنزعجي عزيزتي.. أنا لا أقصدك بتاتًا. صحيح أنكِ ولدت في الولايات المتحدة، لكنك جئت لإسرائيل وعمرك شهورا، وتربيت في الكيبوتس، الذي أخرج خيرة قادة إسرائيل وصقور جيشها.

تثاءب حاييم مرة أخرى، نظرت ديان إلى الساعة التي اقتربت من الثالثة فجرا..

- سيدي، لم أعرف بعد سر زياراتك بعد هذه الحديث الطويل وانزعاجكم بشأني. أنا بخير، فقط أمر بفترة من التقلبات، ومعذرة لو أخبرتك أن وجودك يسبب المزيد من المشكلات لي.. خصوصا مع ليلى.

تنحنحت...

- احتضنتي ليلى منذ سنوات كأبنة لها، ولا أريد أن..

قاطعها حاييم:

- ليلى ليست محور حديثنا، ولا تدعها تزعجك. في الحقيقة، إنها ستكتشف الحقيقة إن عاجلا أو آجلا

هتفت ديان:

- ماذا؟

طرقع حاييم بأصابعه..

- إلا إذا..

ردت ديان في ضعف وتساؤل:

- إلا إذا ماذا؟

أمسك حاييم مرة أخرى بكتفيها..

- إلا إذا سافرت خارج إسرائيل في إجازة طويلة بعد الشيء.

نزعت ديان ذراعه عن كتفيها بحدة..

openkandil.com

- أسافر! أسافر لأين؟

وقف أمامها وهو ينظر مباشرة في عينيها مباشرة..

- إلى وطنك الثاني.

ضحكت باستهزاء..

- وهل لي وطن ثانٍ؟

ثبَّت حاييم نظره..

- بالطبع تعلمين وطنك الثاني.. وطن والدك. ها أقولها بصوت واضح النبرات..هل تسمعين ديان؟ هل ألفظه بصوت قوي عزيزتي؟ مصر، هل الاسم صحيح ديان؟

عقد ذراعيه حول جسده، وديان تتهاوى على الأريكة، وتنخرط في نوبة بكاء مريرة.

obeikandl.com

الفصل الثالث

لـيـلـى

نظرت ليلى لسماء تل أبيب، وهي تستمع لإذاعة القرأن الكريم من راديو طولكرم..كانت بحاجة للهدوء والسكينة، بكت وهي تتذكر أنها، وقد مرت سنوات طويلة، لم تصلِ وتسجد.. سنوات نسيت فيها كينونتها، ونسيت فيها أنها عربية مسلمة. كانت الساعة نحو الثالثة صباحًا بتوقيت تل أبيب، مسحت بيدها الزجاج، الذي كساه الضباب، وهي تتأمل بسكون الشوارع الخالية، حيث تسكن في الجزء الجنوبي من المدينة، في الحي القديم، يبعد بيتها بضعة دقائق بالسيارة عن الميناء والشاطئ، حيث اعتادت هي وصغيرها خالد التنزه.

عاودت النظر وهي تبتسم في حزن

أي بائس هذا الذي أطلق عليها تل أبيب، أي ربوة الربيع بالعربية! إن الصقيع والأمطار يغطيانها، والبرد يتخلل العظام. لم تشهد منها ليلى إلا انهزام تلو الآخر، وضياع تلو الآخر، الأول حينما قرر زوجها مغادرة إسرائيل كلها دون رجعة، وقال إنه سأم المدينة، وكره أن يعيش وسط اليهود، بعد مجازر صبرا وشاتيلا.. إنه حتمًا سيرتكب جريمة قتل.. هؤلاء لا سلام ولا سلم معهم.. قال لها بوضوح، وبصوت لا ضعف فيه:-

"لن أعيش مع السفاحين سفكة الدماء.. لن أبتسم في وجه يهودي صباحًا، وهو يشرب من دماء أهلي في المخيمات مساءً"

طلب منها بهدوء أن تعد أشياءها وأشياء الصغير للرحيل، سألته لأين، فأجاب وعيونه ترقرق بالدمع "أرض الله واسعة"، فنظرت له بعيون مرتعبة وقلب يرتجف.

كل اخوتها الذكور قتلوا في مجزرة خان يونس عام ١٩٥٦، ولم يبق من عائلتها سوى أبوها وأمها، وقد تركا خلفهما لدى هروبهما جدتها العجوز، لأنهما لم يستطيعا حملها، وركن أبوها لمولاة اليهود حتى يضمن الإقامة والحياة لعائلته. مازالت تتذكر بكاء جدتها العجوز، وبكاء أبيها وعجزه عن حملها.. تركوها خلفهما، ولا تعرف شيئا عن مصيرها بعد كل هذه السنوات.

بعد أن استقرت وأمنت وودعت الحروب والاشتباكات مع اليهود، كانت حياتها هادئة وساكنة.. حتى تزوجت محمد الناغي، وتوفي والداها. آراء زوجها روَّعتها.. جعلتها تغلق الأبواب، خشية أن يسمعه أحدهم وهو يسب اليهود ويتوعدهم.. يوم أن قرر الرحيل، تذكرت رحيلها من خان يونس، والأهوال التي قاستها وهي طفلة غريرة، فبكت وهي تقول في سريرتها

"إلى أين تأخذنا يا ناغي.. إلى مزيد من الضياع؟..إلى مزيد من الدماء؟!"

أخذت ابنها، الذي يبلغ عاما من العمر، وغادرت على غير هدى، قبل أن يبزغ الصباح. استوقفتها إحدى الدوريات الراكبة، وقادتها لأحد مخافر الشرطة الإسرائيلية. ليلتها بكت ليلى، حتى احمرت عيناها والضابط يصرخ فيها..لم ينقذها سوى دخول موشيه هركابي وهو

ضابط آخر، بهي الطلعة وسيم، عاملها برقة وإنسانية، مما جعلها تروي له قصتها على الفور، وعدم رغبتها في الرحيل أبدا عن وطنها الذي عاشت فيه.. هذا ما علمه إياها أبوها، مولاة اليهود تبقيها في الوطن وتحفظ حياتها وحياة خالد ابنها.

اطمأنت لموشيه كثيرا، وروت له كل أسرار الناغي زوجها، الذي هرب قبل محاصرة قوات الأمن الإسرائلية لمنزله.. هرب وهو يعض على نواجذه المًا، ويتوعد ليلى بالانتقام.

أخذتها الذكريات تلو بعضها.. تتذكر انهزامها الثاني وهي تقع فريسة لموشيه.. صعقها انهيارها وانحدارها؛ لكن لم يكن لديها أي مقاومة.. كان الأمر سهلا، فلم يطلب إلا أخبار العرب الذين تعرفهم، شجعها أن تتعرف على عائلات جديدة، تنقل عنهم لموشيه.. فقط أخبار عادية، يغدق عليها مقابلها بأموال تكفيها شر الحاجة، وشيئا فشيئا أصبحت أكثر خبرة في نقل ما يريد بعيدا عما هو عادي.

وجاء انهزامها الثالث، وهي تجد نفسها حامل من يهودي دون زواج.. هذا الحمل الذي أبى موشيه أن تسقطه،بل تركت تل أبيب شهور الحمل، ووضعت في مستشفى هداسا بأورشليم(١) ..لم تحمل أبدأ طفلتها، ولم تسمِّها، ولم تأخذها في حضنها، بل حتى لم تطلب أن تفعل، ولم تسأل موشيه عنها، إلا بعد سنوات، ومن باب الفضول.. حينما جمعهما لقاء وهي تطلب منه أن يساعدها في تعيين خالد في العال الإسرائيلية - فقد سبق أن ساعدها في تعيينها ممرضة في جيش الدفاع الإسرائيلي- أخبرها يومها أنه محظور تعيين العرب، لكنه ذكرته أن خالد ترك إسرائيل وهو في الثامنة عشر، وأنه تعلم في المانيا، وتعين

بالفعل في اللوفترهانزا الألمانية، وهو طيار محترف، وأنما سعيها لذلك كي يعود بعد سنوات من هجرها، وتستفيد به إسرائيل.

ألقت ليلى بعينيها مرة أخرى للشوارع الخالية، وهي تمسح دموعها..

"ليتني ما تركته يعود إليك أيتها المدينة، الكارهة لنا مهما فعلنا، ومهما كان ولاؤنا"

فجأة، رأت رجلا يخرج من البناية.. هيكله هذا تعرفه جيدا، وخطواته عاصرتها سنوات. راقبته وهو يركب سيارته.. عرفته.. نظرت تجاه شقة ديان وهمست.. ترى.. هل؟؟

*****

عبرت ديان بسيارتها شارع زنجروف يوم السبت، بعد ليلة مضنية لم تذق فيها النوم، بعد عرض حاييم الذي صدمها..

"ديان...نعلم جيدا حينما كنت في زيارة لمصر، لدى التبادل الطلابي للتطبيع مع القاهرة، في المركز الأكاديمي الإسرائيلي، أنك فوَّتِّ رحلة الأهرام، لتزوريهم.. نعني عائلتك ديان.. أحمد الليثي والدك "

مسحت دمعة ساخنة، وهي تتذكر أنه مر على هذه الزيارة أكثر من عشر سنوات. كانت تملك شيئا من الفضول لمعرفة الذي أنجبها ثم تركها.. فضول لا أكثر. يومها نظرت إليه وهو يدخل فيلا الندى خاصته.. ألقى عليها نظرة فضولية.. نظرة واحدة، ثم نسيها ودخل بيته.. تماما كما نسيها لسنوات.

لم يكمل حاييم جملته وهو يراها تبكي وتنهار..

"ارتاحي ديان، وسنتقابل الخامسة عصرا في فندق ارمون هيكارون"

وها هي تبحث عن مكان لوضع سيارتها.. ضغطت دواسة الفرامل بشيء من العنف أمام الفند،ق بعدما يأست من ايجاد مكان لها. أعطت للحارس مفاتيح السيارة، وهو يقول:

- سيدتي، زجاجها مهشم!

نظرت له باستخفاف..

- وهذا أدعى أن تكون أكثر حرصا عليها.

لم تسمع لاعتراضه وهي تدلف للفندق، قبل ساعة كاملة من الموعد المتفق عليه.

هوامش الفصل الثالث:

(١) تقع مستشفى هداسا في القدس، وهو مستشفى وجامعة في نفس الوقت، والمخجل أن بعض أمراء وأميرات العرب كان يتم علاجهم بها – حقيقة، ولا نريد ذكر أسماء

obeikandl.com

الفصل الرابع

لـمـاذا غدرت بـك؟

سأل النادل ديان عما تريده للشراب

أجابت بشرود: قهوة تركي بالحليب، نفس التي يحبها خالد

جفلت وقد أفاقت من شرودها، نظرت للشاطئ البعيد.. لم تخلع سترتها بعد. تكومت أصابع يدها على ركبتها، وشيء من البرد يكتسح جوانحها. كانت تجلس وحيدة في مقهى الفندق الخالي من الزوار في هذا الوقت من العام، أواخر يناير. هذا المقهى الذي ارتادته هي وخالد كثيرًا.

نظرت للقهوة الساخنة أمامها، وقوالب السكر بيضاء بريئة كضحكة خالد..دمعة حارقة آلمت جفونها، فطوحت القهوة في الهواء. فزع النادل وهو يهرع في إثرها. تركت بعض الشيكلات على المائدة في عصبية، ثم ركضت وركضت إلى الشاطئ. توقف هناك وهي تشهق وتتكئ بيدها على ركبتيها.. ناحت بشدة وهي تصرخ على الشاطئ الخالي وقت الغروب.

- اللعنة.. دعني يا خالد.. اذهب بعيدا. وكأني أقتفي دائما دروبك.. وكأني اقتفي غيابك. متى أنساك أيها الخائن؟.. لكن قسما يا خالد، سأسترجع ذاتي.. سأسترجع ذاتي

قالتها وهي تجلس في انهيار على الرمال، والموج يتهادى حولها، وقد بدأت النوارس في الرحيل في صوت صاخب.

مسحت الرمال عن ساقيها، نظرت لبنطالها القصير..كان خالد يستاء ويكفهر وجه إذا رآها ترتديه في الخروج، وقد يخاصمها أيامًا، فوضعته في الخزانة مهملا. أخرجت كل ملابسها التي قبلت ألا ترتديها كي ترضيه.. عادت حرة من جديد. همست في كآبة:

- وهل أنا حرة؟

استرجعت نفس جلستها منذ أربع سنوات، في نفس البقعة من الشاطئ، منزوية وحيدة، ترقب رحيل النوارس وبوارج السفن البعيدة في الميناء.. تتابع الشمس الغاطسة، كأنها تسرق معها روحها. حاولت القيام للرحيل، لكن قدميها تيبستا، فوقعت مرة أخرى على الرمال.

امتدت يديه لمساعدتها على النهوض.. قال ناصحًا:

- كان عليك تلديكهما قبلًا.

قالها بعبرية مهتزة، فشكرته وهي تنظر لوجهه الوسيم وطوله الفارع وعينيه الآسرتين..سألته في شك، وهي تحاول أن تسترجع أين رأته من قبل، فوجهه بدا مألوفًا جدا لها:-

- ساكن جديد في إسرائيل؟

ضحك في سخرية:

- بل ساكن أصلي يا سيدتي.

عقدت حاجبيها مستغربة، ففسر في بساطة أسرتها دومًا:-

- سافرت عشر سنوات، وعدت فقط البارحة.

سألته في فضول، وهي تلاحظ نطقه العين والحاء في حروفه:

- يهودي شرقي؟

ضحك ضحكة عابثة، أظهرت السنة الجانبية المكسورة..

- بل فلسطيني عربي

انعقدت أسارير جبينها وهي تغمم

- تبدو مألوفًا

رد بحيرة:

- نفس الشيء.. تذكرينني بشخص ما

شرد بعينيه ناحية البحر، بينما أخرجت علبة سجائرها من جيبها، وعرضت عليه واحدة، فرفض، فوضعت واحدة بين شفتيها، وأعطتة الولاعة كي يشعلها لها معتذرة، وهي تنظر بخبث:-

اليوم السبت.. أنت تعلم أنه محرم على اليهود إشعال النيران، فهل فعلت لي؟

وأردفت بصوت ممطوط متعمد، يحمل نبرة ازدراء:

- أيها العربي الفلسطيني

أمسك الولاعة لبرهة في يده، ثم طوَّح بها في البحر بعيدا، وأخذ السيجارة من بين شفتيها وألقاها، ثم داسها بقدمه.

نظرت إليه بغضب وهو يقف متحديًا، ثم صرخت:-

- عربي أحمق

لوح بقبضته..

obeikandl.com

- لو لم تكوني امراة..

ثم أدار ظهره، ورحل. راقبته وهو يمضي بعيدًا على قدميه، طوحت بيدها في الهواء وهي تضحك، مستغربة نفسها. لقد حرك فيها هذا العربي الكثير.. ليست ملكة الرخام، كما كانوا يطلقون عليها في الجيش والجامعة.

بحثت عن ولاعتها، حتى وجدتها على الشاطئ، قد عبت كثير من المياه.. ونجحت بصعوبة في إشعال النار بها. نظرت للسيجارة المحطمة على الرمال وهي تضحك..

- ابقي مكانك

حينما وصلت لمنزلها، همت بإخراج سلسلة مفاتحها للأبواب الخارجية، وجدته هناك يتكئ على الجدار، يضع يده في جيب سترته. نظرت إليه بتوجس.. نادته:

- أنت.. ماذا تفعل هنا؟..ماذا تريد؟

نظر إليها بغموض وتسلية، وقد لمع شيء في عينيه..

- وما شأنك أنت؟

أخرجت هاتفها من جيبها بشئ من العصبية، وهي تهم بطلب المساعدة.. لوى ذراعها..همس:

- أيتها المجنونة! ماذا تفعلين؟..

ركلته بعنف، فتراجع عنها، وقد وقعت أرضا، ووقع الهاتف. زحفت بسرعة لتلتقطه، فركله بعيدا. صرخت ديان وقد بدأ البعض في

obeikandi.com

التجمع، وقبل أن تنطق بكلمة، وجدت نفسها بين ذراعي ليلى. صرخ فيها بالعربية:

- مجنونة!

أجابته بعربية سليمة:

- إرهابي!

ارتعشت ليلى، وقد بدا توتر من فهموا الصراخ..

- ديان.. هذا ابني خالد.

عرفت لماذا بدا لها مألوفا، فقد رأت صورته لدى جارتها ليلى. ليلى التي رعتها منذ جاءت للدراسة هنا في الهندسة وساندتها كثيرا.

تقبلت من يدها كوب الشاي الدافئ، وراقبت خالد وهو يشكر أمه على القهوة بالحليب. جلست ليلى..

- ديان.. هذا ابني خالد.. أخبرتك عنه... سافر عشر سنوات لألمانيا، اليوم عاد.

نظرت لخالد مستعطفة وهي تكمل..

- وسيبقى

وضع شرابه جانبًا..

- سأخرج قليلا لاستشناق الهواء

همست ديان، وهي تنظر عبر الزجاج بدأ المطر في الهطول..

- كيف ستخرج في هذا الجو الماطر؟..

obeikandi.com

أجاب في غيظ:

- أرحم من الجيران المجانين

أجابت مدافعة عن نفسها:

- ظننتك أحد هؤلاء العرب الحمقى المجانين بهوس قتل اليهود

لوح بإصبعه مرة أخرى:

- أنت..

هتفت ليلى في حنو:

- خالد! ديان!

بعدها صار هو خالد، وصارت هي ديان حبيبته.

صارت تضرب الرمل الندي بقسوة، وتطيره في الهواء، تتذكر تعينيه في العال الاسرئيلية، وفرحته الطفولية، وبكاء ليلى.

مسحت دمعة أخرى بعنف، وقد آلمتها الرمال على وجنتها..

- كان كل شيء مثاليا يا خالد؛ لماذا دمرته؟

جاء هذا الألم الشنيع في ليلة مظلمة، ألم جعل خالد يصرخ في جنون، لتهرع به ديان على الفور لإحدى المستشفيات، حيث أخبرها الطبيب بوجوب إجراء جراحة على الفور لاحتمال انفجار الزائدة. أصرت ديان أن تدخل معه غرفة العمليات، فترفقوا بها، ووعدوها بإدخالها بمجرد خروجه. دخلت إلى الإفاقة، وهو لم يفق تماما بعد، كاد قلبها يتوقف عن النبض وهي تخشى أن يتلاشى حلمها وحبيبها.. ثم

obeikandl.com

خرجت من الغرفة وقد مات حلمها. مازال خالد حيا، لكن ثلاث كلمات (داليا) (عملية الضفة) فسرتهم من هلوساته تحت تأثير المخدر قتلوها في تلك الليلة.

فى الشين بيت، لم يعرفوا مطلقًا من هي داليا.. لكن عملية الضفة، تم القبض على كل العناصر المشاركين فيها لتفجير أحد مؤتمرات حزب الليكود.

كلت يدها من ضرب الرمال، حين جاءها الصوت من خلفها:

- هل اكتفيت ديان.. هل نفست عن غضبك؟

رأت حاييم يقف فوق رأسها كالطود..

- كان موعدنا في المقهى.. لكن كل شيء يقودك إليه في جنون.. يقودك إليه.. خالد. أدرك مدى ألمك يا ديان.

صرخت وهي تبكي:

- بل لا تعلم مدى ألمي..لم يكن خالد مجرد حبيب.. بل كان زوجي.. هل تدرك معنى كلمة زوجي؟

obeikandl.com

الفصل الخامس

قـرا ر

مد موشيه يده لديان كي تنهض.. نظرت إليه من خلف غيمة دموعها، وتجاهلت يده، ونهضت وهي تنفض الرمل من بنطالها ويدها،مستاءة من منظرها الفوضوي، كما بدا لها في انعكاسة الشمس على نظارة موشيه الرمادية. كانت الشمس قد بدأت فعليًا في الرحيل، تاركة آخر أشعتها الباهتة على وجه ديان المتورم من البكاء. غمم موشيه في تعاطف:

- تثيرين الرثاء ديان بما تفعلينه بنفسك

زمت ديان شفتيها

- لا تقلق نفسك بشأني.. أنا في حال جيدة، أعرف أن ثمة حياة جديدة تنتظرني.. مازلت شابة ولدي الكثير لأفعله. لن تتوقف حياتي بسبب خالد، كما لم تتوقف بسبب أبي وأمي.

رمقته بجانب عينها، واستطردت:

- لايعني هذا أني سأكملها مع هذا الرؤوال الذي وضعتموه في طريقي، ولا في عرضكم لأزور أسرة أبي في القاهرة. لست بحاجة لكل هذا. قدمت لإسرائيل زوجي هدية، فقط من أجل إسرائيل، وأنا راضية تماما عما قدمته.

هم موشيه بقول شيء، فلوحت له بإصبعها محذرة:

- ولا أنوي تقديم المزيد سوى في عملي الذي أجيده.. كمبرمجة كومبوتير

قهقه موشيه بصوت عالٍ وهو يصفق بيده، بينما هبت رياح مفاجئة لتعبث بشعر ديان القصير، وتثير كثير من الرمال التي دخلت عينيها. رفت عيناها بقوة من ألم شذرات الرمال، فأعطاها منديلا ورقيا، مسحت عينيها به وقد زاد ألمها. فدفعها برقة، لتسير معه نحو مقهى الفندق.

بعدما أنتهت من غسل وجهها، واستعادت شيئًا من رباطة جاشها، وجدت موشيه يجلس على الطاولة، ويده تعبث بهاتفه في حركات دائرية لانهائية. أشار إليها..

- تعالي ديان ، أحضرت لك قهوة بالحليب ستنعشك كثيرا عزيزتي.

فى الحقيقة، كانت بحاجة شديدة لقهوة الذكريات هذه.. ومع برودة الجو في المقهى المفتوح، رشفت قهوتها بنهم. كانا يجلسان في مكان خاوٍ في المقهى، حيث فضل الآخرون الجلوس في الداخل، اتقاءً للبرودة. تنهدت برضا وهي تغلق سترتها..

- شكرا لك موشيه.. على القهوة.

أمسكها من رسغها..

- لم أنهِ حديثي ديان

همت بالاعتراض، فأشار لها أن تجلس، هامسًا..

- رأتني ليلى خارجًا من المبنى بالأمس، وهي ستربط الخيوط ببعضها، فماذا ستفعلين ديان؟

عقدت حاجبيها في غضب..

- وما أدرى ليلى بزيارتك لي؟.. المبنى واسع، وقد تكون في زيارة أي شخص آخر

ضحك بتململ:-

- هذه أسرار مهنة، لا ينبغي الكشف عنها، ولكن ليلى في طريقها لكشف علاقتك بالقبض عن ابنها.

جلست وهي لا تدري ماذا تفعل.. لا تريد خسارة ليلى، بعد أن خسرت خالد. ليلى لن تتفهم أبدًا ما دفعها لذلك. وضع أمامها موشيه ظرفا متوسط الحجم.. سألته في شك:

- ما هذا؟

- أجاب دون مدارة:

- صور عائلتك في القاهرة، تعلمين أن لك أخوة.

غممت:

- أعرف أن لي أخ أو أخت.

- بل أخ وأخت، عامر وندى.

أزاحت الظرف تجاهه، وهي تقول بعصبية:

- وما شأني بهم؟ أنا ابنة إسرائيل و.....

oberkandl.com

قاطعها في نفاد صبر:

- استمعي إليّ ديان.. أخذت من وقتي الكثير. لن نرسلك للقاهرة للتجسس، كما تخشين.. لن ترتادي أماكن عسكرية للتصوير، ولن ترتبطي بعلاقة عاطفية مع أحدهم لأجل أسرار الجيش أو خلافه. هي فقط زيارة، لن تأخذ من وقتك أكثر من عدة أشهر.. نريد أن تعيشي وسط المصريين، نريد معرفة اتجاه تفكيرهم بعد فشل حصار الاتحادية.. أين يتجه المصريون؟..

بالطبع لن تفعلي هذا بمفردك، هناك لجنة من الخبراء، سيتم وضعك تحت إشرافها لعدة أسابيع، لتدريبك كيفية إلقاء الأسئلة، وتجميع الآراء، وعمل تقرير.

قاطعته ديان في حدة:

- ومن قال إنني أوافق!.. هل خدعت نفسك بخوفي من ليلى أو خسارتي لها؟.. كان خالد جزء من نفسي، وضحيت به.. فلماذا تعول على أن ألم خسارة ليلى سيكون أقسى من ألمي على خالد؟

ابتسم موشيه بخبث:

- في الحقيقة، الذي أخبرتك به هو شق من الأمر، ولكن هناك شقًا آخر، لا يقل أهمية عن التقرير. أمر يتعلق بداليا.

اتسعت عينا ديان..

- داليا!..هل عرفتم من هي؟

انفرجت أسارير موشيه، وتراجع في كرسيه وهو يرقب الاهتمام المفاجئ على وجهها، وقد تحفز جسدها، وضحك سخريةً..

- الأنثى هي الأنثى. افتحي المظروف، ستعرفين من هي داليا.

قبل أن تمسكه بيدها، التقطه بخفة ، وهي تنظر له في غضب.. فتحه وهو يتلذذ بفضولها، وضع صورة أمامها لرجل في أواخر الستينات..

- أحمد الليثي، عجوز في الستينات من عمره، يملك الشركة المصرية للحواسب.

وصورة لشاب في أوائل العشرينات..

- عامر أحمد الليثي، في أوائل العشرينات، يدرس في هندسة الإلكترونيات.

وصورة لفتاة رقيقة، لا تكاد تتخطى مرحلة المراهقة..

- ندى أحمد الليثي.

ثم صورة لضابط بالقوات المسلحة..

- حاتم محمد الليثي، رائد بالقوات الجوية المصرية، وهو بالمناسبة ابن عمك، إن فاتك الأمر، ويقطن مع أبيك نفس المنزل، بعد وفاة والده وهو صغير. أما الصورة الأخيرة، فهي لشقيقته وابنة عمك..

تعمد موشيه أن ينظر إليها كثيرا، ثم ينظر لوجه ديان، قبل أن يعرضها أمامها..

- ابنة عمك، داليا أحمد الليثي

obeikandl.com

نظرت إليه بشك، ولكن شكها تحول لذهول وحيرة، فالصورة التي وضعها أمامها أثارتها بشكل مخيف. حدقت فيها بانهيار.. " تذكرينني بشخص ما".. خالد!.. أول لقاء!.. ابنة عمها تكاد أن تكون نسخة كربونية منها، فقط ما يختلف بينهما هو اللون والفم القوي الممتلئ الذي تملكه داليا، والنمش الذي يغطي وجه ديان!

جاءها صوت موشيه سحيقا:

- رغم كل ما فعلناه بخالد، واستخدامنا وسائل شتى من التعذيب، رفض الإفصاح عن داليا تماما. لقد كانت مفاجأة أن نجد ابنة عمك بهذا الاسم، والمفاجأة الأكبر هي الشبه الشديد بينكما. لا معلومات لدينا عن لقائها بخالد.. كل ما نعرفه أنها كانت تعمل بالخدمة الأرضية لمصر للطيران.. لأي مدى تعرفت بخالد، لا توجد معلومات مؤكدة، كل ما نعرفه أنها ترفض أن تتزوج، رغم بلوغها الثامنة والعشرين.. يهمس البعض بقصة حب فاشلة.

لكن لا يخفى على طبيعية عملنا شديدة الحساسية، أن هناك شيئًا يربط داليا هذه بالذات بخالد.. لا نبني عملنا على المصادفات.. هناك شيء يربطها بشبكة ما ، تخطط لعمليات داخل إسرائيل. يرجح أن خالد لم يرتبط بك عبثا، وأن الأمر كان مخططًا. قبل إبلاغك عنه، رصدنا معلومات تخص الأمن القومي.. أتعرفين ما مصدرها ديان؟

اتسعت عيناها من الصدمة، وهو يلقي بالكلمة شديدة على سمعها..

- الحاسوب خاصتك ديان!

*****

قادت ديان سيارتها ببطء في الشوارع الباردة. تركها موشيه بجملة أخيرة..

- ننتظر ردك خلال أربع وعشرين ساعة، وإلا اعتبري لقاءنا لم يتم..

ثم أردف وهو يضع بعض الشيكلات على الطاولة:

- على حساب إسرائيل..

عدل سترته وهو يقول: - أنت محظوظة يا فتاة، إذ لم تقع رقبتك تحت المقصلة.. كنت المشتبه الأول وليس خالد.

خبطت بيدها على المقود..أعصابها مثارة، وخفقات قلبها متزايدة، والغيظ يكاد يقتلها، وهي تردد:

- وهم!.. كل ما عشت فيه وهم!..لكن لماذا؟

كان صوت "موشيه جيات" يندفع بأغنية شرقية ذاعت شهرتها كثيرا في السنوات الأخيرة.. لطالما أحبت صوته، يتحدث عن الحب والخيانة والشوق. طفرت الدموع من عينيها، فأوقفت السيارة.

وجدت نفسها في ميدان رابين - كيكار مالشي سابقا- حثتها الزحمة أن تسير مجددا، هتفت في حنق:

- حقا، إنك المدينة التي لا تنام.

نظرت لساعة يدها.. إنها الثامنة!.. إنها تقود منذ أكثر من ساعتين بلا هدف!.. تلفتت حولها، ففوجئت أنها وصلت منطقة الميناء، حيث أكبر تجمع للنوادي والحانات. تبحث بعينيها بلهفة.. صديقة طفولتها،

يائيل عزارئيلي ، حتى وجدتها بجانب أحد البارات، تتجاذب أطراف الحديث مع أحدهم.

- يائيل..يائيل!

تمايلت يائيل بفستانها القصير الفاضح، ووجها المصبوغ، وهي تمضع علكة بكل أريحية، واتكأت على نافذة سيارة ديان هاتفة:

- ديان!.. أيتها الشقية، لم أرك منذ سنوات.

أشارت لها ديان، وسط الصخب والهرج أن اركبي، فهزت رأسها أن لا وهي ترد:

- لدي عمل!

زفرت ديان في غضب..

- اركبي، سأدفع لك.

oberkandl.com

الفصل السادس

يـا ئـيـل

- لم أرك منذ زمن ديان العزيزة!

نظرت لها ديان نظرة جانبية، دون أن تجيب. بدأ الهواء البارد يغزو سيارتها، تمتت يائيل بتافف:-

- هلا أغلقت النافذة ديان.. يكاد البرد يأكلني!

حينما لم تجب ديان، واستمرت في القيادة، متجاهلة يائيل وغارقة في أفكارها، صرخت يائيل:-

- أوقفي السيارة أيتها الحمقاء.. تغيبين سنوات، ثم تغرقينني في الصمت والبرد!

أوقفت ديان السيارة على أحد الطرق المؤدية لشاطئ خالٍ في هذا الوقت من السنة. نزلت يائيل تتمايل، وقد خلعت حذاءها، وهي تدندن بلحن شرقي ذائع الصيت لزوهير ارجوف:-

- ألينور كم أنت جميلة- العالم يراك جميلة- إنني تعيس تماما- لا أعرف نهاية لهذا الحب سوى الحزن

اتكأت ديان على السيارة، تشعل سيجارتها التي عابثها الهواء كثيرا، ترقب رفيقة طفولتها، وهي تتمايل وتطوح شعرها الطويل في الهواء. قالت بتسلية:-

- مازلت تعشقين الأغاني الشرقية يائيل؟

obeikandl.com

ضحكت يائيل ضحكة عبثية..

- إننا يهود شرقيون يا عزيزتي.. السفارديم.. مواطنوا الدرجة الثانية.

اقتربت منها وهي تتطوح..

- ورغم ذلك كنت تعاملين معاملة أفضل مني يا ديان في الكيبوتس. لعلها أموال أمك، التي كانت ترسلها من أمريكا.

هزت ديان رأسها نفيا، وهي تأخذ نفسا عميقًا..

- أنت مخطئة تماما يا عزيزتي.. كم تخطئين!.. اسمي يكشف عن نصفي الشرقي. أخذت نصيبي من الصفعات والركلات.. لكن يائيل من زرع لديك وهم كونك شرقية ؟

ضحكت يائيل بخفة..

- تربيت في الكيبوتس منذ الولادة، تخلت عني أمي، وكنت أسمع دائما: "أمها ليست يهودية"

رفعت يديها في الهواء..

- أنا ابنة الخطيئة.. - ضحكت بهستريا- العرب يهربون من خطيئتهم، أما اليهود فيتفاخرون بها.

عادت للغناء مرة أخرى، وديان تسمعها صامتة. حينما قاربت سيجارة ديان على الانتهاء، دفنتها بقدمها في الرمال..

- هيا يائيل، سأعيدك مكانك

- ماذا...هل هذا كل شيء؟

- آه، بالطبع سأدفع لك.

ابتسمت وهي تنظر إليها في استهزاء.. ركلت الموج والرمل المبلل بقدمها العارية، ثم جلست.. وبعدها نامت بكل كسل على الرمال، وهي ترقب سماء تل أبيب المظلمة، وتغمض عينيها، وتتنهد بخفوت.

- تعالي ديان.. أتذكرين كم غفونا على الشاطئ بعد خروجنا من الكيبوبتس اللعين.. أديت أنت الخدمة العسكرية، وهربت أنا وحبست ستة أشهر.

جلست ديان بجانبها، وهي تتكئ بمرفقيها على ركبتها:

- لم تكن أيامه كلها سيئة يائيل.

تقلبت يائيل على جانبها..

- بل كانت كلها شقاء بالنسبة لي.. وانتهت بكارثة.

- مازلت تذكرين هذا الحادث حبيبتي يائيل.

- سأتذكره حتى آخر أيامي ديان.

- أخبرتك ألا تذهبي معهم لهذه الحفلة اللعينة، لم تكن مجموعة تثقين فيهم.

تنهدت يائيل بخفوت..

- لم تكن فجيعتي في اغتصابي ولا انتهاك آدميتي، بل تلك الثورة عليّ من قبل قادة الكيوبتس، اتهموني بالكذب وتلفيق الأمر، وانتهت

بطردي من هناك.. من هذه الحشرة التي تلطخ سمعة الكيبوتس، الذي أخرج النخبة في إسرائيل. حتى أنت ديان وقفت صامتة.

- لقد بحثت عنك يائيل ولم أتركك. طلبت منك مررا أن تسكني معي وأن تكملي تعليمك الجامعي، وعرضت عليك ليلى نفس العرض تكرارا.

قامت يائيل واعتدلت..

- آه.. تلك العربية الحمقاء.. أفضل مهنتي كفتاة متعة ديان.

ثم قهقهت بصوت عالٍ..

- قاطعتني أيتها الجاحدة، حينما تزوجت ابنها.. أين أميرك العربي؟

- انفصلنا يائيل. لم نكن مناسبين.

كأنما صعقت يائيل..

- لا تنسي ديان أني حذرتك.. هكذا هم العرب خائنون.. ربتت على يدها..

- يا حبيبتي المسكينة ديان، كنت هائمة به.

- لا عليك يائيل، فقد تجاوزت كل هذا؛ بل لدي صديق.. صديق اسمه راؤول.

هزت يائيل رأسها..

- أها.. هنيئا لك

قالت وهي تنفض الرمل عن ثوبها القصير:

- هلا أعدتني مكاني عزيزتي، لم أجنِ الكثير الليلة.

هتفت ديان وهي تغالب الدمع:

- لا عليك يائيل.. سأدفع وقتك كما وعدتك. لقد اشتقت إليك شهورًا، منعني هو أن أراك فيها.

غمزت يائيل بعينها

– دعينا ننسى اليوم أننا يهود وتغاضي عن الدفع. أنا أيضا اشتقت إليك ديان كثيرا.

حينما تركتها ديان وقادت سيارتها بعيدا، دمعت يائيل وغصة في حلقها، وأعماقها تفور بغيظ..

- حمقاء ديان.. حمقاء وغبية

لم تذكر لديان أبدا أن خالد كان يعطيها المال كي لا تبيع جسدها. لم تفهم أبدا إصراره على هذا. كانت تلقي المال في وجهه وتشتمه "انصرف أيها العربي القذر"، فلا يرد إهانتها أبدا، بل يجمعه ويضعه في يدها. لم يطلب منها شيئًا، وحينما انقطعت زيارته منذ أشهر، شعرت أنه يأس منها.

هتفت في أعماقها:

- أين أنت يا خالد؟

فتحت ديان باب شقتها بسرعة، ثم تجاهلت جرس الباب الملح لليلى. أطفأت كل الأنوار، بعد أن هاتفت حاييم. كانت زيارتها لرفيقتها يائيل آخر خيوط تمردها. لم يحب خالد يائيل مطلقًا. طردها في أول

زيارة لها عندهم، حينما عرف بكونها فتاة ليل، ولم تشفع لها دموع ليلى ودفاعها بأنها فتاة مسكينة، وينبغي مساعدتها.

أغمضت عينيها، ونامت بعمق، فهي لم تنم منذ البارحة، متجاهلة تماما ليلى، التي جلست عند بابها تنوح، ثم جرت جسدها جرا إلى شقتها، والحيرة تأكل صدرها.

obeikandl.com

الفصل السابع

سـا مـنـتـا

فى مطار جى اف كيندي، وقفت ديان ترقب المرأة الأنيقة الطويلة؛ أمريكية غنية حتى النخاع. بجانبها تلك الصبية الشقراء تقف في دعة. هؤلاء لا علاقة لهم أبدًا بحياة التقشف التي عاشتها في الكيبوتس.

لم تتقدم خطوة منهما، وانتظرت.. تقدمت سامنتا بتردد، وهي تتساءل بشك:

- ديان؟..

هزت رأسها أن نعم

سامنتا!.. لم تكن ثمة عاطفة تجمعهما، ولم يقطع الصمت بينهما سوى تأفف ويندي الواضح.

- هل ذهبنا سام؟ لدي موعد بعد ساعة.

نظرت إليها ديان نظرة صاعقة، وهي تحمل حقيبتها، وسامنتا تهتف:

- دعيها حبيبتي، سيحملها أحدهم. ويندي، هل صافحت شقيقتك؟

نظرت ديان باستخفاف لويندي، التي مدت يدها.. بلحظة جمعت تفاصيلها.. شقراء بلهاء مترفة، تنفق الكثير على نعومة بشرتها، والكثير على ثياب لا تحتاجها في الأغلب.. ترتدي معطف من الفراء الأسود وتنورة قصيرة من نفس اللون، وقد تركت شعرها في انسدال عابث.

زمت ديان شفتيها، وهي تفكر في ازدراء.. ترتدي الصغيرة ما لايناسبها مطلقًا. ولكن ماجعل عيني ديان تضيقان، وتنفر من ويندي أكثر، تلك النظرة التي لم تفهم لها تفسيرًا.

أنزلت ويندي يدها الممتدة دون بادرة ترحيب من شقيقتها الكبرى، وهي تلقى نظرة هازئة على ملابسها وعلى سروال الجينز القديم وسترتها القصيرة. هذه الإسرائيلية ذات الشعر القصير الباهت اللون والنمش العابث لن تروق لها نيويورك أبدا.

دارت بنفسها نصف دورة وهي تهتف بعصبية :

- هيا سام.. قلت لك لدي موعد

سام:

- هيا يا فتيات

تبعتهم ديان، وفي أعماقها يربض الغضب، تمني نفسها بالصبر، فلن تمكث هنا أكثر من أسبوع. يستحق الليثي أن تعرف المزيد عنه من سامنتا، وأن تسافر بعدها من نيويورك للقاهرة، بجواز سفرها الأمريكي. تمنت لو كسرت رقبة هذه الباربي المسماة ويندي، وهي تمشي أمامها كإوزة منشاة. ابتسمت، وهي معجبة لهذا الخاطر.. قد تعود يومًا وتفعلها.

نظرت ويندي نظرة ذات مغزى للسائق توماس، فأخذ الحقائب من الحمال. أطبق الصمت على ثلاثتهم في السيارة، والتفت ديان من نافذتها لنيويورك، الغارقة في البرودة، والزحام الشديد، والإنارات القوية، والإعلانات الضخمة. شعرت بضآلتها، وفكرت في مدينتها التي لا

تنام، التي لا تتعدى الخمسين كيلو مترًا، واشتاقت إليها، رغم أنها ودعتها منذ عشرين ساعة فقط. عبست لحنينها هذا، وتنهدت وهي تتذكر شقتها، وتتذكر خالد.. ندت عنها صيحة غاضبة:

- تبًا!

قالتها بالعبرية، فسألتها ويندي:

- ماذا قلت؟

- لا شيء.

ضحكت ويندي في جزل..

- نطق تمثالك الصامت سام.. يبدو أن المدينة لا تروقها.

زجرتها سامنتا :

- ويندي، كفي عن العبث.

ارتمت ويندي على صدر سامنتا، فربتت عليها بكل حب، وقبلت وجنتها.

- كفى شقاوة ويندي حبيبتي.

نظرت ويندي بخبث، ولم تفتها تلك النظرة اللامعة في عيني ديان.. نظرة حملت بحرا من دموع طفلة وحيدة مهجورة، قضت طفولتها وصباها في مكان لا عاطفة فيه سوى لوطن يحمِّلها فوق طاقتها.

دلفت مع سامنتا للشقة المترفة، في أفخم بنايات نيويورك. نظر توماس نظرة ازداء للحقيبة الصغيرة المهترئة،

obeikandl.com

فقالت بالعبرية

- حتى أنت أيها الأسود!

انعقد حاجبا توماس في غضب فضحكت سامنتا وهي تقول:

- اهدئي ديان.. توماس هو خادمي وسائقي وطباخ المنزل، وهو يهودي من يهود الفلاشا وقد قضى بضعة سنوات في إسرائيل، لذا فهو يفهم العبرية جيدا

انبسطت أسارير ديان، فقد نجحت في جرح أحدهم، وألقت نظرة عابثة على الخادم الغاضب..

- أرجو ألا يسمم لي الطعام، أو يطبخ لنا لحم البشر.. أخبرني أيها التوماس، هل تأكل لحم البشر؟

تجاهل توماس سخرية ديان، التي انهالت عليه بغضبها المكتوم من حياة سامنتا المرهفة، بينما قاست هي الأمرَّين في الكيبوتس، فحتى الأموال التي كانت تبعث بها، كانت توزع على الكيبوبتس بأكمله، وتكمل هي مع أقرانها حياة التقشف.. إنما شكلت لها هذه الأموال بعضا من الحظوة والمديح، لا أكثر. هناك، بكت حتى أرهقها البكاء.. وحزنت، حتى أصبح الحزن وطنا بداخلها. حتى فرحها القصير بخالد لم يكتمل. آه ثم ألف آه، عادت بأفكارها لخالد مرة أخرى!.. لم تفق إلا على صوت سامنتا وهي تقول:

- اذهب توماس بحقيبة ديان لحجرتي.. سأعطيها حجرتي

نظرت إليها ديان نظرة خاوية..

- مازلت جميلة سامنتا، في أوائل الخمسينات، ولكنك جميلة. لعلها أموال زوجك الأمريكي.

اقتربت منها سامنتا بهدوء، وهي ترفع خصلة من شعرها.. نفرت ديان وأزاحت يدها.. غصت سامنتا، وأدارت ظهرها لها، وهي تنظر عبر الزجاج لنيويورك المبتهجة، تستمد منها قوة تواجه بها هذه الابنة النافرة التي تلقت منها رسالة برغبتها بزيارتها؛ تلك الزيارة التي ألحت هي عليها ورفضتها ديان مرارا. همست في ضعف:

- ديان.. أعرف أنك تعانين كثيرا يا حبيبتي..حاولي أن تتفهمي موقفي.. كنت صغيرة، أذلتني حياة الكيبوتس كثيرا، مكثت هناك خمس سنوات، أعمل كالدابة ليل نهار، لولا ظهور جيفري في

زيارة سياحية للكيبوبتس، ما كنت خرجت من هناك. عدت ديان لنيويورك التي أعشقها، وكلي أمل أن أستعيدك يوما.

نظرت لها ديان باستخفاف..

- أخذ منك الأمر عشر سنوات سامنتا.. تذكرت أن لك ابنة بعد عشر سنوات.

نظرت لها سامنتا باستعطاف..

- بعد عشر سنوات، طلقت وأصبحت حرة من جديدة

ضحكت ديان..

- ومع صك حريتك، نصف ثروة جيفري.

- لكني جئت إليك ديان..كنت في الخامسة عشر.. يومها خدشتني بأظافرك، ورفضت وجودي، وطردتني وأنت تصرخين.

لم أياس منك أبدا ديان؛ رغم أن زفافك علمت به من بعض الرفاق.

مسحت سامنتا دمعة فرت من عينيها..

- أين هو زوجك.. لماذا لم يأت؟

قالت ديان ببرودة..

- انفصلنا.

- حقا! هل تركته أم تركك؟..العرب واليهود لا يتفقون أبدا.

- آه، نسيت أن لك تجربة مع مصري.. هذا المصري الذي أنجبتني منه.

- لا تتكلمي عنه هكذا ديان

رفعت ديان حاجبيها في دهشة..

- مازلت تحبينه!

- لم أكف عن هذا الحب يومًا.. لم تعرفي حبًا كهذا.. إنه يعصف بكيانك، ويورثك حزنا لا ينتهي، وحقدا لا يكل ولا يمل.

- كيف يجتمع الحب والحقد سامنتا؟

غمزت سامنتا بدلال..

- فقط إذا كان لك قلب يهودية.

obeikandi.com

- أمازلت بعد كل تلك السنوات تحبينه سامنتا، وتدافعين عن خسته معك؟

- لا لا لا لم يكن الليثي خسيسا أبدا معي. مازلت أذكر أيامي معه كأنها البارحة.. حنون رقيق، يدرس الهندسة في جامعة ميتشجن، حيث أعمل نادلة..

جلست على كرسي إلى جوار النافذة، وشردت مبتسمة، واكملت:

- تزوجته سريعا، وخشيت دائما أن أخبره أني يهودية. لم يعرف إلا بعد أشهر ديان.. لدى ولادتك. حينما أشارت ابنة عمي لوجوب ذهابي للكنيس اليهودي. مازلت أذكر الحسرة في عينيه وصدمته الشديدة.. كان يكره اليهود بشدة.

هتفت ديان مستنكرة:

- لماذا؟

- جل ما أعرفه أن أباه أسر في حرب الـ١٩٦٧ وعذب في السجون الإسرائيلية حتى الموت. انهارت كل الروابط بيننا في لحظة.. طلقني بلا رجعة، ثم عاد بعد أسابيع، وعرض عليّ أموالا كثيرة كي أتنازل عنك ديان.. فهربت إلى إسرائيل.

- اذن أنت ترين أن كرهه لليهود هو ما جعله يهرب منك.. أنت عار على قومنا سامنتا.

رفت عينا سامنتا بالدموع، وهي تنظر لوجه ديان الغاضب، وقد وقفت تفرد وتقبض راحة يدها. تملكها الذعر للحظات، ولم يخرجها من هذا سوى توماس..

- العشاء جاهز سيدتي

نظرت إليها مرة أخرى.. ماذا تخفين بداخلك ديان؟.. ماذا تنوين أيتها الشقية.. إنهم يستخدمونك كطعم لشيء ما..شيء يثير الخوف بأعماقي.

obeikandl.com

الفصل الثامن

خائنة بالفطرة

إنها الخامسة صباحًا بتوقيت نيويورك.

مسحت ديان الزجاج الغارق في المطر، وهي تتأمل المدينة الصاخبة. تتابع بفتور فوران المياه المتساقطة على الأعمدة والأسفلت اللامع، وقد انعكست عليه الأضواء بفرح. حينما توقفت الأمطار، أردات أن تشم رائحة ما بعد التدفق.. عالجت النافذة، لفح الهواء البارد وجهها بشدة، وتطاير شعرها الناعم بثورة عارمة. اضطرت لإغماض عينيها، والتف ذراعاها حول جسدها اتقاءً للبرودة المؤلمة. أغلقت النافذة بسرعة، وأطلقت سبة قبيحة.

هي بالنسبة لها مدينة لا تورث سوى السأم. خمسة أيام قضتها هنا.. خمسة أيام تكاد تبلغ عصبيتها مداها، فكل شيء يثير اشمئزازها، من الطعام للشراب لسامانتا لويندي للخادم توماس، حتى ذلك القط الأسود الأليف ذي الشعر الكثيف، الذي استيقظ ينظر إليها نظرات مرتابة.

تجاهلته وهي تدلف إلى المطبخ الفاخر، تعد لنفسها كوبًا من القهوة بالحليب. وضعت كثيرًا من السكر، الذي كانت ويندي وسامنتا تشهقان من كميته.. زفرت بعمق وهي تتذكرهما..

- كم أبغض البلهاء وابنتها!

بحثت في البراد عن شيء تأكله. لم يعجبها أي شيء فضربت الباب بعنف..لوهلة شعرت انها ليست وحيدة.. وجدت القط معها ينظر نفس النظرة المرتابة، فركلته بعنف وغلظة.

عادت للصالة، حيث وضعت حاسوبها الشخصي. فتحت على صور تل أبيب الحبيبة.. تذكرت أنها حذفت كل صور خالد لديها.

شعرت بحركة من يفتح الباب، دخلت ويندي بصحبة شاب أسمر خشن الشعر، وقد تهدت ويندي في دلال.

- شاكر، هل تبقى معي قليلا؟

يرد عليها الأسمر:

- معذرة يا جميلة.. لدي عمل الغد- ويضحك- أقصد اليوم.. تأخرنا كثيرا ويندي في سهرة الليلة.

تعلقت ويندي برقبته وهي تقول في غنج:

- لا ترحل..لا ترحل!

تعلقت نظرة الشاب وهو يحاول أنتزاع ذراعي ويندي من رقبته بنظرة ديان المتفحصة. قال بفتور..

- لدينا مراقبة ما.

ارتبكت ويندي للحظة وهي تنظر لديان، وقد تسمرت نظرتها عليها، وأمالت رأسها وضاقت عينها، ثم فتحتهما في تسلية، وويندي تقدم رفيقها:

- شاكر بن عمار.. أحد أشهر مغني الراب في نيويورك.. شقيقتي ديان

- عربي!..

سألت ديان بلغة عربية سليمة، وهي ترفع حاجبيها ..

أجاب في أدب، وقد تعجب من تحدثها العربية..

- نعم آنستي..عربي من الجزائر.

صفقت ديان بيدها بجزل، وأغلقت الحاسب أمامها، ثم وقفت وأخذت كوب القهوة، وهي ترتشفها ببطء، وتقيس شاكر بنظرات وقحة. نمت عن ويندي زفرة غاضبة، واقتربت من ديان، ووضعت يدها عليها..

- ماذا تفعلين ايتها الحمقاء

ازاحت ديان يد ويندي ببرود، وقد راقها تحفز شاكر لنظرتها. قال في حيرة:

- هل هناك ما يزعجك آنستي في مظهري؟

قهقهت ديان بصوت عالٍ، وهي تردد كلمة آنستي. كان الحديث يدور بالعربية، التي لا تفقه منها ويندي شيئًا، إلا أن أسارير شاكر المنعقدة وتوتره الظاهر أخبراها بشر تنتويه ديان، التي وقفت ترمق شاكر بنظرة جانبية، وهي ترتشف القهوة ببطء وتتلذذ.

سألها في برود: تتحدثين العربية ببراعة.. أين تعلمتِها؟

ردت بلؤم، وقد حانت اللحظة للانتقام من ويندي المدللة :

- ندرسها في الصفوف الأولى بجانب اللغة الأساسية، العبرية.

ردد في عدم تصديق:

- العبرية!

قلدته ديان هازئة، وهي تضع الكوب جانبا

- العبرية.. ألم تخبرك ويندي أن لها شقيقة إسرائيلية؟

اتسعت عينا شاكر كمن لسعه عقرب، وديان تكمل:

- اوه.. ربما نسيت أن تخبرك أن أمها يهودية أيضا.

لم ينبس شاكر بأي كلمة.. استدار، وفتح الباب.. لحقته ويندي وتشبست بذراعه.. انتزعها بعنف، مما أوقعها أرضا.

ذهلت ويندي، وطفرت الدموع من عينيها، وقد تلاشى شاكر كالسراب. نهضت من مكانها وهي تتألم..

- ماذا فعلت له أيها اللعينة؟

قالت ديان ببساطة، وهي مسترخية تماما:

- أخبرته أننا يهود..

ثم قهقهت بصوت عالٍ، وأضافت:

- هؤلاء العرب عنصريون

لطمتها ويندي على وجهها..

- من أنت أيتها الحشرة حتى تتدخلين بحياتي؟

obeikandl.com

كان غضب ديان قد وصل مداه، فأمسكت ويندي كالعصفورة، ولكمتها بعنف في وجهها عدة مرات.. انكسرت بعض أسنانها، وامتلأ فمها بالدماء.

استيقظت سامنتا وتوماس على صراخ ويندي المذعورة، ولم تصدق سامنتا أن تتعرض ويندي لهذا الاعتداء الوحشي في منزلها.

صرخت في جنون:

- توماس، اطلب الشرطة لهذه الكلبة.

رددت ديان في ذهول، وصدرها يعلو ويهبط جراء المشاجرة..

- شرطة!

نظر لها توماس بتشفٍ، أحضر حقيبتها وملابسها المبعثرة، وألقاها خارج الشقة، وأمر ديان صارخا:

- اخرجي..

بينما انشغلت سامنتا في ويندي الفاقدة الوعي، وهي تصرخ:

- توماس، أحضر الإسعاف.

لملمت ديان ملابسها القليلة، وخرجت من البناية. أنبأها البرد القارص أنها نسيت سترتها بالشقة، لكنها نظرت للبناية نظرة خاوية، ثم مضت، لا تلوي على شيء.

بكت بشدة وقد أرهقها السير..جلست على الرصيف، وأخرجت هاتفها، بحثت عن الرقم الذي تركه لها حاييم موفاز للتحدث إليه للضرورة القصوى.

obeikandl.com

رد الصوت القوي.. ديان هل من خطب ما؟

- لقد طردتني سامنتا، وهي ستطلب الشرطة..ضربت ويندي بشدة.. أرهقوا أعصابي حاييم.

- أين أنت؟

رد بعد وهلة قصيرة. نظرت للمكان حولها ..

- شارع دينزل

- حسنا ديان ابقِ حيث أنت.. نصف ساعة سيكون عندك أحدهم

بقيت ترمق السيارات المارة، والبرد يكاد يفتك بها في هذه الساعة المبكرة. سعدت أخيرًا بالصوت الذي انبعث من الفراغ

- ديان!

كان طويل القامة، قمحي الملامح.. ضيقت نظرتها، قبل أن يهتف

- رافي عومير.

دلفت للشقة الصغيرة، التي يسكنها رافي...كانت ترتعش من البرد

هتف رافي:

- يا لديان المسكينة..كيف تخرجين هكذا في البرد؟

احتضنها برقة وهو يدلك ذراعها العارية.. شعرت ديان بشيء من الطمأنينة وهي تلقي برأسها على صدر رافي وصوته الحنون يردد:

- اهدئي يا صغيرتي..

لاذت به أكثر.. كانت تشعر بالضياع. بدأ في مداعبتها وتقبيلها.. نفرت ديان وأزاحته بعنف، فهتف بدهشة:

- اهدئي..فقط كنت أساعدك!

ثم قال بمرح:

- ما رأيك في إفطار من أرض الوطن؟

ردت بخمول :

- لا بأس

أمضت بقية النهار في الاستماع لمحاضرة رافي في كيفية الهدوء وتمالك الأعصاب، بعد أن تلقت مكاملة توبيخية من حاييم.

- إن الأمر في القاهرة لن يمضي على هذا المنوال.. المصريون لايرحمون.. فلا تجربي هذا العنف مرة أخرى.

فى المساء، كانت قد هدأت تماما، ورافي يدخل من الباب..

- لقد سويت الأمر مع سامنتا، وأحضرت لك جواز سفرك الأمريكي. تسافرين على طائرة الغد عصرًا.

أخذت جواز السفر من يده، بينما عيناه ترمقانها في رغبة..

- هل أطلب لك بيتزا معي ديان؟

- نعم افعل

استمتعت بالعشاء برفقة رافي، وقد ضحكت كثيرا لأسلوبه الظريف، وصوته الرخيم يردد أغانيها المفضلة. قبل أن تذهب للنوم، جاءها صوته من خلفها..

- انتظري..أحضرت لك سترة جديدة.

نظرت له بامتنان وهو يلمس وجنتها برقة..

- هيا اذهبي.. نامي، فلديك سفر شاق غدًا.

تقلبت ديان على فراشها.. لماذا لم تقبل دعوة رافي؟.. إنه يروق لها. عاد خالد يحتل أفكارها، فنهضت وهي تلقي الغطاء أرضًا..

فتحت الباب، طرقت باب غرفة رافي، الذي نظر إليها في عبث وهي تقول:

- أريد الحديث معك قليلا..

لم يدع لها فرصة للتردد، وهو يجذبها من ذراعها لأحضانه..

- دعي الحديث للصباح يا أميرتي.

فى الصباح، لم تستطع البكاء، ولم تستطع التفسير لما تفعل. جاءها صوت رافي من خلفها..

- دعي عنك ديان..

نفرت من ذراعه حولها.. ضحك وهو يقول:

- انسِ يا أميرة

نظرت إليه بحنق، وهو ينظر لساعته..

- لا وقت لدينا.. لديك نصف ساعة لإعداد نفسك للسفر.

الفصل التاسع

الـقــاهرة

الخامسة صباحا.. نظرت للقاهرة، والطائرة تهبط وتهبط.. متسعة كاتساع الهوة بين هويتها اليهودية وهوية عائلتها المصرية.

حينما سألها التاكسي الذي استقلته عن وجهتها، أجابته بعربية سليمة:-

وسط البلد..طلعت حرب- فندق الكوزموبوليتان

داعبت رياح أواخر فبراير الباردة الرقيقة وجنتها الناعسة، فقد بلغ التوتر بها مداه، ولم تنم لحظة واحدة. انشغلت بالقاهرة التي كانت حلما، زراته منذ سنوات. تكاد تكون خالية من المارة في السادسة صباحًا.. سجلت عيناها عبارات عديدة كتبت على الجدران

يسقط حكم المرشد.. أنا مش كافر انا مش ملحد يسقط يسقط حكم المرشد

ياللعار ياللعار الفلول بقوا ثوار

جيكا في الجنة أساحبى

مصر إسلامية...مصر إسلامية رغم أنف الحرامية

فين حق الشهداء يا مرسي؟

جبهة الإنقاذ نحمل الخراب لمصر

حملقت بذهول وخوف.. كم تغيرت القاهرة..كل هذه الثورية ترعبها.. كل هذا الاختلاف يذهلها. شعرت بالذعر إن توجهت كل هذه الطاقة الثورية يومًا ضد إسرائيل!

نظرت مرة أخرى للشوارع، وتساءلت بخفوت، وكأن عينيها تخدعها:

- هل هذه القاهرة العجوز الخانعة الكسولة؟..مالها تحقد على نفسها..تصارع أبناءها!..شيءٌ في الهواء يستبيح الدماء، ويطلب المزيد من القتلى!

سألت السائق بفضول :

- مازالت الثورة تشتعل.. هناك مؤيد للإخوان المسلمين ومعارضون.. لأي صف تنتمي؟

أجابها كمن لدغته حية، وهو يرقب ملامحها الأجنبية في شك، وقد وجل للكنة الغريبة في لغتها العربية:

- إن شاء الله خير.. ربنا يكتب الأصلح لمصر.

نقدته مبلغًا زهيدا، فلم ينبس ببنت شفة. أنزلها سريعًا وغادر كالريح. حملت حقيبتها الصغيرة على كتفها، وعدلت من كوفيتها الفلسطينة. تسمرت فجأة على الصورة الجدارية الصغيرة المرسومة على الحائط.. جيكا شهيد محمد محمود!

رفعت حاجبيها في استهانة..

- لا يكف العرب عن التضحية بصغارهم في آتون المعارك.. أي ثائر هذا الذي لم يبدأ حتى مرحلة المراهقة؟

حينما دلفت للفندق، نظر الحارس شذرا للكوفية الفلسطينية.. أخرجت جواز سفرها الأمريكي، فسمح لها بالدخول بكل ترحاب.. هذا الترحاب الذي اقترن بالتوجس من عامل الاستقبال. طلبت منه حجرة جيدة التهوية.. وصعدت يرافقها أحدهم، وهي تتأمل المكان. للحق، كان الفندق يحمل الطابع الإنجليزى تمامًا.

خلعت ديان سترتها، ووضعت رأسها على السرير المريح، تحملق في السقف المرتفع وتراءت لها الآلاف الخيالات تتصارع هناك.

انسحبت ببطء لبحر النوم العميق، وفي أغواره رأت نفسها تقف وحيدة على جسر طبرية، والموج يرتفع ويرتفع، حتى غطى نصف قدميها، وصار كدوامة عاتية تصارعها، وهي تدور معها، حتى غاصت كليًا في ظلمة، لا ينيرها سوى عيني خالد المضيئتين، وهو مسجى على ظهره في الأعماق، يجذبها إليه بعنف.

صرخت وهي تستيقظ، وصدرها ينتفض وينتفض، وقد تصبب جبينها بعرق غزير، رغم برودة الجو.

تركت فراشها بصعوبة، وهي تجر جسدها جرًا تجاه الحمام، حيث وضعت نفسها بملابسها تحت المياه الباردة.

بعد ساعة، كانت قد استعادت نشاطها، وجلست في استرخاء تام على المقهى المقابل للفندق. تعجبها فكرة المقاهى في الهواء الطلق. أكلت بعض شطائر الفلافل، على الأقل تتشابه مع ما تجده في إسرائيل، إلا أنها في القاهرة أفضل كثيرا. استلذت طعم الشاي المعطر بالنعناع، فطلبت كوبًا آخر - هنا يقدمونه في كوب وليس فنجان- . وهي ترتشفه

ببطء واستمتاع، غير واعية للأعين الفضولية لمجموعة من الشباب والشابات التي تحدق بها، بالأخص كوفيتها الفلسطينة.

اقتربت منها فتاة تبدو في أوائل العشرينات..

- مرحبا..

ثم سألتها بفضول:

- عربية؟

أجابت ديان وقد وجلت للحظة من جرأتها:

- أمريكية

نظرت لها الفتاة بشك أكبر..

- تتحدثين العربية بلهجة فلسطينة

أجابت وقد غص حلقها من انكشاف أمرها

- أستاذي في الجامعة الذي علمني العربية من أصول شامية.

لم ترق إجابتها للفتاة التي ترتدي جينز مقطوع عند الركبة و سترة ضيقة.. أومأت لها:

- هلا جلست

ومدت يدها لتصافحها..

- اسمى ديان.

ردت الفتاة :

obeikandl.com

- ماريان..كان بودي الجلوس معك، لكن لدي مجموعة هناك تنتظرني.

برقت عينا ديان وهي تفهم:

- وهم من بعثوك لتتعرفي على هويتي؟.. ترى على تتعرفون على الأجانب بهذه الطريقة، أم أن شيئًا يزعجك في مظهري؟

ارتبكت ماريان وهي تفرك يديها..

- في الحقيقة، هم يشكون فيك كونك من حماس تراقبينهم

ضحكت ديان للفكرة..

- حماس! ولماذا أراقبكم؟ وما الذي وضع هذه الفكرة في أدمغتكم؟

أشارت للكوفية حول رقبتها، فضحكت ديان أكثر

شعر أفراد المجموعة بإحراج ماريان الشديد، فقاموا في اتجاه ديان،كانوا شابين وفتاة أخرى. قالت ماريان بهدوء تدركهم:

- ديان، أمريكية تجيد العربية ولها أسبابها، والكوفية مجرد ملبس.

غممت الفتاة الأخرى- واسمها سارة، وهي ترتدي حجابًا على الطريقة الإسبانية، ولبسها لايقل ضيقًا عن صاحبتها-:

- أخبرتكم أنهم لا يرسلون النساء.

نظروا لها باعتذار...فكانت فرصتها، هبت بحماس وهي تمسك بذراع سارة..

- هلا جلستم رجاء.. هذه أول ليلة لي في القاهرة، ولا رفقة لدي.

اعتذروا بأدب، ولكنها تمسكت بفرصتها بإلحاح..

- أدعوكم على كوب من الشاي المصري بالنعناع، فهو يعجبني كثيرا..يبدو كل شيء مصري مبهجا...

نظرت للفتاة الأخرى باستعطاف..

- وقد تساعدوني في أمر شخصي..

لم يجدوا مناصا من الجلوس معها، ووسط أكواب الشاي الساخنة وأوراق النعناع الندية وحبيبات السكر البيضاء، جلس قبالتها وائل، وهو يعرفها بنفسه:

- وائل محمود، حركة ستة إبريل، محاسب.

أشار لصاحبه الذي قال:

- سامح تقلا، التيار الشعبي، أعمل بالسياحة ومتوقف حاليا.

وأخيرا الفتاة..

- ماريان ماكسيموس، خطيبة سامح.

أما سارة، فأجابت بفخر:

- سارة، أعمل في دي بي دي، مذيعة تلفزيونية.

لم تفهم ديان لوهلة هل تتعارض اتجاهاتهم أم تتقارب، وأجلت أسئلتها، حتى لا تثير شكوكهم.

- ديان الليثي..

ما إن قالت اسمها حتى غصت وجوههم واكفهرت، سارعت:

obeikandl.com

- أمريكية مصرية.. في الحقيقة، أتيت للبحث عن عائلتي المصرية.

حينما ساعدت سارة ديان في الوصول لفيلا الندى بمدينة الرحاب، شكرتها كثيرا. هتفت سارة:

- لا عليك، فأنا أسكن في الشارع المقابل.

ترددت قليلا، أن ربما يعتبر ذلك تدخلا فيما لا يعنيها، لا يحبذه الأجانب..

- ولكن ألا تعتقدين أن الثانية عشرة، منتصف الليل، توقيت غير ملائم للتعرف على عائلتك التي تبحثين عنها؟..

تمهلت ديان كأنما تفكر، ثم نظرت إلى الفيلا وقالت:

- مطلقًا.. كما ترين، الفيلا مضاءة وثمة حفلة صاخبة بداخلها.

obeikandl.com

الفصل العاشر

فـيـلا الــنـدى

دلفت ديان من باب فيلا، كتب عليها فيلا الندى.. ثمة حفلة صاخبة الليلة.. إنه عيد ميلاد ندى الليثي العشرون.. هي تعرف مسبقًا. كان الباب مفتوحا على مصراعيه لدخول الضيوف.. يقف بجانبه حارس عجوز، هتف في فرح:

- ست داليا..حمد الله على السلامة!

تجاهلته ديان، حتى لا تثير شكوكه.. لاشك أن الشبه بهذه الداليا شديد.. تبغي إلقاء نظرة لا أكثر، وربما حالفها الحظ وتحلت بشيء من الشجاعة وعرفتهم بنفسها. هذه الشجاعة التي لم تواتها منذ عشر سنوات، جاءت إليهم بقلب مكسور ورحلت بقلب أشد انكسارا. أما اليوم، فقلبها مجبر على الدخول لحياتهم، بلا انكسار في حياتها، بل سوء حظ لهم، فلم يعد بقلبها شيء من العاطفة التي كانت في المرة الأولى، بل أتت بقلب أسود سواد الليل الحقود.

فى هذا المكان، يسكن شخصان أحالا حياتها جحيمًا.. أحدهم سرق حياتها منذ سنوات بعيدة، والآخر سرق أحلام فرحها منذ سنوات قليلة..

- أحمد الليثي وداليا الليثي، ترى من تكرهين أكثر؟ ديان همست لنفسها وهي تتكئ على الجدار، ترقب الحفل الذي اقتصر فقط على عدة فتيات. شعرت في مكانها أنها منبوذة كما هي دائما منذ ولادتها.. لم

تشارك يومًا تلك الضحكات، لم تتذوق في عيد ميلادها العشرين طعم الحلوى، ولم تحصل على هدية، أي هدية تافهة. كانت تلتهم الحضور بنظرتها التهامًا، وقد توقف الدمع في محيط عينيها مما أعطاهما لمعة مخيفة، تراقصت عليهما أضواء الشموع وهم يطفئونها فوق تورتة عيد الميلاد. كان بداخلها تنينًا غاضبا، ينفث النار بتؤدة فيحترق صدرها احتراقًا.

كم تمنت لو أن معها ذاك الكلاشينكوف الذي حملته إبان خدمتها في جيش الدفاع، لتفرغه فيهم جميعًا.. أسعدتها الفكرة وأبهجها منظر الدماء في مخيلتها، فاستعادت روحها وعزيمتها على الانتقام. أخذت طبق من الحلوى وبعض العصير، وجلست في ركن هادئ تأكل بتلذذ، وترتشف العصير ببطء.

داليا!..

اخترقت تلك الصرخة الممزوجة بالفزع أذنها، وفتاة بثوب دانتيل أبيض مكلل ببتلات الورود الحمراء تقترب منها، وفي يدها كأس من العصير. انكسر الكوب عند قدمي ديان، والفتاة تهز شعرها الأسود الطويل الناعم، في غير تصديق..

- من أنت؟

ثم تحدق إليها في ذهول:

- تشبهن داليا كثيرا.. لكن لست داليا!

نهضت ديان في لحظة، وهي تواجه ندى بقوامها الممشوق. وخزتها في صدرها رياح حقود، وهي تحسد جسد أختها الجميل وبشرتها الخمرية. قالت في بساطة :

- داليا قريبتى

هزت ندى رأسها في استغراب، فيما معناه فنحن أيضًا أقارب، ولم أرك في حياتي قبلا.

- ديان.. أنا قريبة لكم من أمريكا..اعتذر لاقتحامي للحفل هكذا، لكني أبحث عن عائلتي منذ فترة بعيدة.

- عائلتك!..

تمتمت ندى بذهول، وقد تجمعت رفيقاتها يثرثرن بهمس عن تلك الزائرة الغريبة، التي ظنت ندى بداية أنها داليا ابنة عمها، مضيفة الطيران التي تسافر دومًا. اغتاظت ديان من النظرات الفضولية، فهمت بالرحيل وهي تقول في يأس، وتهزكتفيها في لامبالاة:

- يبدو أنني أخطأت التقدير.. أعتذر، ولن أزعجك بعد اليوم.

أومأت برأسها بحركة مسرحية مدربة، وأدارت ظهرها ..

- انتظري..

صرخت ندى، وهي ترقب تلك الزائرة الغريبة ترحل.. أمسكت بذراعها في لهفة، وهي تكرر:

- انتظري..

استجمعت نفسها، لتضيف..

- من أنت؟..ما اسمك؟..لم أتعمد مضايقتك...من أنت؟

قالت ديان بهدوء:

- ديان الليثي

ثم بطريقة بطيئة متعمدة..

- ديان أحمد الليثي

تركت ندى ذراعها، وصدرها يعلو ويهبط، وهي تصرخ:

- مستحيل!

توقفت الموسيقى، ولم يعد سوى الهمس، والثرثرة ، وعينا ندى المتسعتان في غير تصديق وذهول، بينما تعلقت عيناها بمن يقف خلف ظهر ديان في تلك اللحظة، وهي تهمس وتشير إلى ديان وتغمم:

- بابا.. من هذه؟

لم يكن أحمد الليثي يقف وحيدا في هذه اللحظة، التي استدرات إليه فيها ديان، بل وقف بجواره عامر الليثي ابنه، بشعره الحليق وطوله الفارع، وهو يحدق في ديان بعدم تصديق، ثم يمسك بذراع ديان برقة، وهو يقودها بعيدًا عن الأعين الفضولية، لغرفة مكتبية.

دعاها للجلوس، وهو ينتظر أباه، الذي ربت على وجنة ندى بشيء من الحنو، ثم دخل مكتبه، وقد ازداد في اللحظة سنوات فوق سنوات عمره.

الفصل الحادي عشر

العائلة

جلست بشيء من الاعتداد يتوّجه الغرور، وهي ترقب عامر الليثي بفضول، وقد جلس قبالتها يتأملها بنفس الفضول، وهي تشعل سيجارتها وتعابث بدخانها الهواء. تشبه داليا ابنة عمه كثيرا، لكن لداليا وجها يوحي بالطمأنينة، أما وجه ديان، فيحمل بحارًا من الحزن والتشتت، والشراسة. أثارت تعاطفه، وفي نفس الوقت قلقه، حتى أخرجه من أفكاره دخول والده.

وقف، ونظر للرجل الذي أحنت السنوات كتفيه، نظرة حانية. جلس أحمد الليثي في هدوء على مكتبه، وهو يجمع شتات نفسه. جزع عامر وهو يكتشف أن النظرة ذاتها تملكها ديان، التي ما انفكت تنفث الدخان بوجهه.

انتظر حتى انتهت من سيجارتها.. وتكلم بهدوء وبصوت قوي عميق النبرات:

- هل لنا أن نعرف من أنت، وكيف تقتحمين منزلنا بكل هذه الصفاقة؟

اتسعت عينا ديان، والتمعت بالدمع لوهلة، فمعلوماتها القليلة عن أحمد الليثي، الذي يحمل لقب والدها عبثا، أنه يكره اليهود وبشدة. أما عامر، فقد انتابته الحيرة الشديدة، لذلك التناقض بين

نظرة أبيه المتألمة التي حملت شيئا من الشوق واللهفة، وكلماته الحادة.

تمالكت ديان نفسها سريعا..

- سيد أحمد.. إذا وجدت أنني أشكل تهديدا ما أو أني اقتحمت منزلك، فالحل الأمثل...

مدت يدها بهاتفها الخلوي..

- أن تتصل بالشرطة.

نظر ليدها الممدودة، وهو يعاود نفس سؤاله..

- من أنت؟

ضحكت ديان بصفاقة..

- تقابلنا منذ عشرة سنوات، ولم تتوقف حتى لتسال من أنا!.. اطمئن سيد أحمد، فلم أختصر ثماني وعشرين عامًا، لأبحث عن عائلة تعادل الصفر بالنسبة لي، أو عن أب لا يريدني. ولم آتِ كذلك للمساومة على شيء ما. فلنقل إنه الفضول.

ونهضت وهي تقول في استهانة..

- وقد رويت فضولي.

ضاقت عينا أحمد الليثي، وهو يراقب طريقتها المسرحية، والقلق البادي على وجه عامر ابنه. قال وغصة تخترق حلقه وتخنقه:

- طالما رويت فضولك، فنقل إنها الزيارة الأخيرة؛ وإن لم تكن زيارة بالمعنى المفهوم.

ثم أدار ظهر كرسيه وهو يقول:

- اقتحام بيوت الناس في منتصف الليل ليست زيارة أبدا.

هتف عامر:

- بابا!

وهو ينظر لوجه ديان الممتقع، لم يكن يتوقع أبدًا هذه القسوة من أبيه، ولم يفهمها. اندفعت ديان تغادر بخطوات واسعة، وقد رأت في طريقها ندى، التي وقفت وحيدة، بعد انصراف الحضور ممتقعه الوجه، فأزاحتها بعنف، وأكملت طريقها.

هز عامر كتفيه في دهشة..

- بابا.. لماذا فعلت هذا؟.. أنت تعرف من هي!!!

استدار له أحمد الليثي ووجه كله دموع..

- أخبرتك قبلا عنها، لأني خشيت أن تأتي يوما وأنا متوفٍ.. بحثت عنها سنوات في كل أنحاء أمريكا.. سنوات وسنوات وأنا لا أدري بمصيرها..حتى أتت هنا منذ عشر سنوات.. لم أصدق يومها عينيّ ولكنها رحلت.. شيء داخلي منعني أن أناديها. .انسها يا عامر، هي لا تكن لنا أي عاطفة.

تنهد عامر..

- لا يحق لك الحكم عليها بهذه الطريقة. لا يحق لك.

هب أحمد الليثي محذرًا ابنه، وقد وقفت ندى باكية على باب المكتب، وعامر يسرع في الخروج إليها..

- اشرح لها، لعلها تفهمك أفضل مني.

جلست ديان على رصيف الفيلا تبكي. لم تشعر بالبرد، بل ارتجفت من الكراهية التي غلفت كلمات الليثي.. نفس الكراهية التي جعلته يقلب حياته رأسًا على عقب يومًا. حرقتها الدموع كما حرقتها ندى المبتهجة بالحياة، كما حرقتها ويندي المدللة قبلا. والأكثر إيلاما أنها فشلت.. نعم فشلت.. ستعود لأرض الوطن، لشقتها الخاوية في تل أبيب، لصورة خالد العابثة وضحكته الحنون..

كم اشتقت إليك يا خالد..كم اشتقت إليك!

في غمرة حزنها، وجدت يدا تمتد إليها بمنديل ورقي.. ارتعشت في البداية، ولم تكد ترى وجه عامر الليثي، حتى دب شيء من الأمل بداخلها.

*****

تافقت بشكل واضح، وهي تنظر لساعة معصمها، تنتظر الدخول لمقابلة جنرال حاييم موشيه. مرت ساعة ونصف وهي تنتظر.. غممت في سخرية:

- حينما كنت آتيك بالمعلومات، لم أكد أجلس من أساسه موشيه.

قادتها الضابطة المنوطة بخدمة السكرتارية.. نفث حاييم موفاز السيجار، وهو يهتف بطريقة مسرحية:

- مرحى ليلى العزيزة.. مضى زمن طويل منذ رأيتك.

غممت ليلى، وهي تجلس في كرسيها متجاهلة يده..

- حينما اتيت لك منذ سنوات لتعيين خالد.

أومأ برأسه متفهما، وهو يقول:

- وكيف خالد الآن

حدقت فيه ليلى وهي تقول بغضب:

- موشيه، أنت تعرف بالتأكيد أين خالد وماذا تفعلون به.

ضحك حاييم وهو يقول:

- اشتقت لكلمة موشيه منك، ليلى الحبيبة.

تجاهلت ليلى نظراته الساخرة وهي تقول:

- خدمت إسرائيل سنوات عمري، فهل يكون جزائي ألا أعرف حتى مصير ابني؟

قاطعها حاييم..

- ليلى، صدقيني يا عزيزتي، لو عرفت أي شيء عن خالد لأخبرتك على الفور.

هتفت بعنف:

- موشيه، اسمعني جيدا..لدينا ابنة. .ولابنتك سجل إجرامي، من الهروب من الجيش، والعمل كفتاة ليل، وقبلها فضيحة اغتصاب هزت أركان الكيبوتس.. أنت مرشح في انتخابات الليكود القادمة.

obeikandi.com

اتسعت عينا حاييم وهي تكمل:

- لست مصدري الوحيد عزيزي موشيه.. إنجابك ابنة من عربية، وتركها في الشارع، أمر يضر كثيرا بسمعتك.

صفق لها موشيه بيده..

- وهل لا يضرك أنت ليلى؟

قاطعته..

- أنا انتهيت من زمن. اسمها يائيل هركابي، وأعتقد أنك تعرفها جيدا.. قليل من المال سيحركها عزيزي.

ضحك حاييم..

- ماذا إن قتلتها؟

ضحكت ليلى بدورها..

- قلبي لا يتحرك كأم إلا من أجل خالد عزيزي.

عقد موشيه حاجبيه في غضب، وليلى تكمل:

- لا أبغي سوى قليل من التعاون جنرال حاييم. أود رؤية ابني، وهذا ليس بكثير عليك.

oberkandl.com

الفصل الثانى عشر

عـا مـر

نظرت ديان لوجه عامر، وقد خفق قلبها بالأمل.. تقبلت بامتنان المنديل الورقي.. مسحت دموعها، ثم نهضت وهي تشكره .رأت في نظرته حيرة وبعض التعاطف.. سرحت شعرها بيدها، ثم هزت كتفيها وسألته في ضعف:

- هل تدلني كيف أذهب لشارع طلعت حرب للفندق؟ أتت بي صديقة هنا معرفتي بها طفيفة، وليس لي معلومات كافية عن القاهرة، فأنا هنا منذ عدة ساعات. نظر لها عامر بشئ من الشك..

- قال أبي إنك أتيت هنا منذ عشر سنوات.

قالت بسرعة:

- نعم، كانت رحلة للجامعة للتبادل الثقافي، ولم يكن مسموحًا لنا بالتجول خارج إطار الجروب، وعشر سنوات مدة طويلة كي أتذكر طرق المواصلات.

قال بدهشة:

- جامعة!.. هل تنظم الجامعة في أمريكا رحلات للقاهرة للتبادل الثقافي؟

صمتت للحظة تسب سقطتها.. ثم مسحت بسرعة على جبينها، وهي تتظاهر ببعض الصداع. شكرته، وهمت بالرحيل.

- انتظري..

أمسك بذراعها..

- عذرًا.. الموقف بأكمله يدعو للارتباك.. ظهورك الفجائي.. موقف أبي الذي لا أفهمه.. حتى لا أعرف اسمك.. كل ما أعرفه عنك أنك من أم أمريكية. تنهدت وهي تمد يدها لتصافحه..

- كل هذا لا يمنع أننا أهل. اسمي ديان.. ديان أحمد الليثي.

نظر ليدها الممدودة، وأمسكها في ترحاب..

- عامر.. عامر أحمد الليثي.

تهجت اسمه في مرح:

- عامر أحمد الليثي

صفقت بيدها..

- إننا اخوة، أليس كذلك؟

تنهد عامر وهو يقول:

- نعم.. إنها الواحدة، انتظري سأحضر سيارتي.. سأوصلك.

ثم قال ببطء، كمن يستوعب الاسم..

- ديان.

نظرت لظهره وهو ينصرف بخيبة أمل.. همست لنفسها بحقد:

- ماذا كنت تتوقعين من هذه المرفه؟.. أن يدخلك البيت عنوة رغمًا عن الليثي.. تريثي ديان وثابري.

obeikandl.com

استقبلت عامر بابتسامة واسعة، وهو يفتح لها باب السيارة الجولف الرياضية فضية اللون. حاولت أن تجمع شيئا من ملامحه وهو يقود بهدوء من مدينة الرحاب عبر الطريق الدائري.. كان يركز في قيادته، لكنها تعلم جيدًا أنها تحتل أفكاره بتلك القنبلة التي ألقتها في بيتهم.

ركن السيارة، نزلت ديان، وحينما أغلقت باب السيارة، واستدرات لتشكره، غاص قلبها في صدرها، وهو يصر بشدة أن يرافقها حتى الفندق، ليطمئن عليها. كان به شيء من خالد.. شيء جعلها تنتحب بداخلها وترتعش بشدة..

*****

وقف أحمد الليثي وهو ينظر لندى، وقد امتلأت عينها بالدموع، وقد دخل عامر وهو يأخذ سلسلة مفاتيحه. شيء في صدره انقبض، وقد غرق في أفكاره السوداء، ولم يفق سوى على يد ندى وصوتها الباكي

- بابا..

تنهد وهو يزيحها في رفق..

- دعي كل شيء للصباح.. أنا مرهق للغاية حبيبتي..

خطا بضعف ناحية السلم، ثم استدار وهو يقول بحنان:

- عيد ميلاد سعيد يا ندى.

ارتمت ندى على سريرها، والحيرة تعصف بكيانها، وصوت الهاتف يدوي في أذنها. ردت في ضعف

- سلمى!

- ندى، إنني قلقة للغاية.. من هذه؟

قالت ندى بصوت لا يكاد يخرج من حلقها:

- لا أعرف..لم يخبرني بابا أي شيء.. قد يفعل عامر.. ذهب لتوصيلها، وسأنتظره.

تنهدت سلمى:

- ندى، اتصلي بي أي وقت حال احتجتني، لا يفصلني عنك سوى بضعة مبان.

سلمى جارتها تكبرها بسنوات قليلة، ليست فقط صديقتها، بل هي خطيبة ابن عمها حاتم الليثي. هى لم تعرف ما الذي جمع سلمى الرقيقة بملامحها الطفولية وملابسها المحتشمة للغاية بضابط مهندس في القوات الجوية، له الكثير من المعجبات، تحدثت عن مغامراته مدينة الرحاب بأكلمها. كانت خطبتهما مفأجاة، فهي رغم حبها الشديد لسلمى، لم تفهم أبدا ما الذي يجمع بين هذه الطبيبة حديثة التخرج، المسالمة البسيطة، التي تختلف مع حاتم في كل الآراء، فهي تؤيد التيار السياسي الإسلامي بكل قواها. لعلها أقرب لعامر من حاتم في هذا الأمر.

ضحكت.. لعله ذلك الموقف هو ما جمع بينهما، حينما استغاث به والدها، رجل الأعمال ذائع الصيت، لإحضار ابنته الطبيبة من المستشفى الميداني. يومها رجع حاتم غاضبًا منها، لرفضها الشديد واستغاثتها برفاق الميدان، حينما حاول أخذها بالقوة. لم يكن يعرفها قبلا، إنما شقيقتها العابثة مروى -نقيض سلمى التام- التي هامت فترة بحاتم، ولم يعرها انتباهه، حتى تزوجت وسافرت مع زوجها..

هزت رأسها وهي تعود من حكاية حاتم وسلمى ثانية إلى حيرتها وصدمتها. اسمها ديان.. تشبه داليا ابنة عمها كثيرا.

فكرت في داليا، التي غيرت وظيفتها من الخدمة الأرضية في مصر، للطيران كمضيفة في إحدى شركات طيران الخليج الشهيرة. تمتمت..

- اين أنت يا داليا.. دائما مسافرة، وحتى حاتم في نوبتجية اليوم

سمعت باب الفيلا الداخلي يغلق، فعرفت أن عامر قد عاد. لكنه كان قد دخل غرفته، وأغلقها بسرعة، ولم يهتم بطرق ندى، ففيه ما يكفيه.

حلتم يعلم عن أخته ديان الكثير، من خلال أبيه.. أخبره أنها ستظهر يومًا، وأن عليه أن يعطيها نصيبها في حالة وفاته. لكنه اليوم صدمه بطريقته في طردها وعدم الاعتراف بها.

أغلق عينيه، وهو يقول:

- هناك أسرار لم تكشف عنها يا أبي.

*****

كان صوت مشاري راشد العفاسي يبكي ليلى، وهي تستمع له في فجر يومها من راديو طولكرم.. تنظر من خلال النافذة لسماء تل أبيب الغارقة في المطر.. تتذكر مقابلتها لموشيه أو المسمى حاييم موفاز. لم تذكر له أنها رأته يخرج من المبنى، وأنه في الأرجح كان عند ديان. تساءلت في وجوم، ترى ماذا فعل لهذه المسكينة، حتى تترك لها رسالة سريعة، وتسافر لأمها التي طالما كرهتها، دون وداع؟

*****

نفث حاييم موفاز سيجارته في غضب.. يخشى كثيرا من تهديد ليلى، ولا يعرف لأي مدى تصل علاقاتها داخل الجيش ، فهي قدمت خدمات قوية لدولة إسرائيل، وهي لن تتردد في إيذائه إذا استطاعت. حسم امره وهو يطفئ سيجارته بعنف.. استدعى إيلينا زوهر مديرة مكتبه، التي أدت التحية العسكرية، فأومأ لها أن تجلس. وضع أمامها صورة فتاة في أواخر العشرينات..

- اسمها يائيل هركابي

قالت في نبرة خشنة:

- المطلوب؟

نظر لها مليًا، وعقله يبرق في شدة، كان قد قرر في أول الأمر أن يقتل يائيل، لكن مع التفكير أكثر، وجد فكرة طرأت له، جعلته يرى طريقا آخر.. طريقا يربحه الكثير، ويزيح ليلى عن طريقه.

قال في قوة: - أريدها في مكتبي خلال ساعة.

ووضع أمامها ورقة تحمل عنوان يائيل هركابي، في الحي القديم من تل أبيب.

الفصل الثالث عشر

الأفــاعي

كانت الطرقات على باب شقة يائيل كمدافع الحرب في أذنها. نظرت للساعة بجانبها.. إنها الثانية ظهرا!.. هي لم تنم إلا منذ ساعتين. حاولت إغلاق جفونها في خمول، لكن الطرق الشديد أصابها بالفزع، فقامت مترنحة باتجاه الباب.

نظرت من العين السحرية، فتشنجت أعضاؤها، واستيقظ عقلها دفعة واحدة.. ماذا فعلت؟.. نظرت مرة أخرى والطرق يتواصل، وفتحت الباب وهي ترتعش. سألها الضابط بصوت غليظ، وعيناه تتفحص بوقاحة جسدها، تحت الغلالة الرقيقة التي ترتديها..

- يائيل هركابي؟..

أومأت بضعف، فدخل بغلظة لشقتها وهو يدفعها..

- ارتدي شيئا للذهاب بسرعة.

نطقت بخوف:

- للذهاب لأين؟

صدمتها النظرة المخيفة للضابط، فلم تكمل الجملة. ولت ظهرها لترتدي شيئا، اتقاء للبرد القارص بالخارج.

*****

فى مبنى الشين بيت، دخلت يائيل مكتب حاييم موفاز.

تفحصها بهدوء.. متوسطة القامة، شعرها أسود غزير، لها أنف مستقيم، وعيون واسعة، ووجنتان مرتفعتان، وفم ممتلئ، وبشرة زيتونية مشربة بحمرة دافقة، ترتدي معطفًا ثقيلا من الجلد الأخضر. هتفت أعماقه: "جميلة أنت يائيل، بك الكثير من ملاحة ليلى". أشار إليها أن تجلس.

لم تدرِ يائيل لماذا هي هنا، وماذا تفعل في مكتب هذا الرجل ذي العيون الحادة كالصقر. سألها في خفوت، وهو يحك ذقنه النامية قليلًا، ويقرأ ملفًا أمامه..

- يائيل هركابي، ترعرعت في كيبوتس نهاريا، طفولة مشاغبة ورفض دائم لأي نصح، ومراهقة صاخبة انتهت بفضيحة ادعائك باغتصابك من شباب كنت برفقتهم بأحد الحفلات الشاطئية، ثم هروب من الخدمة الإجبارية لجيش الدفاع.

غصت يائيل وهي تتذكر.. أكمل

- ثم عملت..كفتاة ليل..

توقف عند هذه الجملة، ورفع عينيه من الملف وسألها:

- هل تستمعين بعملك يائيل؟

نظرت لعيونه التي تشع مكرًا..

- تدر دخلا يمكنني من العيش والبقاء.

- إلى متى تستطيعين العيش بهذا النمط؟

احتارت في الإجابة.. قام من خلف مكتبه، وهو يمد لها سيجارة، تقبلتها بأنامل مرتجفة وهي تشكره.. أشعلها لها، فأخذت نفسًا عميقًا وسألته:

- هل تحتاجني في عمل ما سيدي؟.. أنا لا أقدم خدمات مجانية.

ضحك حاييم وهو يهز رأسه نفيا لما فكرت فيه.

- نحتاجك يائيل بكل تأكيد. لكن ليس من أجل ممارسة عمل فتاة ليل لنا..

مال نحوها..

- انصتي يائيل لما سأقوله.. لو فرضنا أن هناك طفلة بائسة، ألقتها أمها يومًا لاختلافها عنها في العرق، ومضت سنوات وأصبحت شابة بالغة، وعرفت طريق أمها..

تفصد جبينها بالعرق، وقاطعته..

- لم تكن لي أم كي أجيبك.

- يائيل، لا تهربي من الإجابة عزيزتي. هل تشعر الفتاة بالحنين لأمها؟ هل تشعرين بالحنين لأمك يائيل؟

انتفضت يائيل وهي تفهم أن ذا العيون الثاقبة يقصدها. هزت رأسها نفيا..

- كلا، لا أهتم مطلقًا.

أشعل سيجارته، وهو ينظر لها بعيون نصف مغمضة..

- ماذا لو أخبرتك أننا نعرف من هي أمك؟.. ماذا لو عرفت أنها عربية؟

انتفضت يائيل بذعر، واتسعت عيناها وامتلأت بالدموع.

*****

في السادسة صباحا، دلف حاتم الليثي لفيلا عمه، حيث يقيم معه. كان يصفر بتناغم رجل مرهق يتوق لقليل من النوم، بعدما قضى نوباتجية يفرضها عليه الجيش كل عدة أسابيع.

خلع سترته، وألقاها بإهمال على الكرسي، وتوجه للمطبخ للبحث عن شيء يأكله.. وجد طبقه الذي يتركونه دائما في الميكروويف. شغَّله لتسخين الطعام، ثم أخرجه بعد عدة دقائق. كان ساخنًا جدا، وضعه حاتم بألم على المنضدة، وأخرج كيسا من الثلج من الثلاجة وهو يبتسم..

- عادتك اليومية يا حاتم حرق أصابعك.

شعر بحركة خفيفة، فالتفت ليجد ندى، فهتف في دهشة:

- ندى!..

استغرب لعيونها ندى الباكية، فسألها وقد نسي ألم أصابعه:

- ندى، ما بك؟

ألقت ما لديها كأنها تتخلص منه..

- لي أخت ظهرت من العدم!

لم ينطق حاتم ببنت شفة، وهو يرمق عمه أحمد الليثي بنظرات متسائلة، وقد وقف خلف ندى، التى أدركت وجوده خلفها. قالت في ألم:

- بابا!

- لماذا لم تنامي صغيرتي؟

غصت بالدموع:

- من هي؟.. كيف لم تخبرني من قبل؟

جلس أحمد الليثي وقد وجم..

- قصة قديمة، ظننتها قد انتهت. تزوجت أمها، ثم انفصلنا واختفت بها. بحثت عنها سنوات وسنوات.. كان هذا قبل أن ألتقي أمك.

- لكنها عادت بابا.. لماذ تركتها تذهب؟.. هل تشك أنها ليست ابنتك؟.. إن شبهها الواضح بداليا يقطع كل شك.

نظر حاتم لعمه مشدوها..

- هل أشاهد فيلما ما؟.. عمن تتحدثان؟..ماذا حدث؟.. أترك البيت بضعة ساعات، أعود وأنا أظن أن كل جريمتي هدية عيد ميلاد ندى.. عن أي أخت تتحدث...هل لندى وعامر أخت أخرى؟.. لماذا تخفيها عمي، إذا كنت وجدتها؟

تنهد الليثي بألم، وهو يخفي تأثره..

- لكلٍ أسراره.. انسوها رجاءً.. لها حياتها، ولنا حياتنا.

obeikandl.com

خرج للهو وندى تتبعه، وقد خرج عامر برداء نومه، وهو يغمم:

- يبدو أن البيت كله لم ينم.

نظر له أبوه..

- عامر

نظر له عامر بشيء من الحيرة..

- بابا، إن أنكرت ديان ابنتك، لا أستطيع أن أنكر أنها أختي.

أمسكت ندى بذراع أخيها وهي تؤازره: - وأنا معه.

عقد الليثي حاجبيه بشدة، وقلبه ينتفض من المجهول.. هل يخبرهم أن أختهم يهودية؟.. نظر لحاتم الذي وقف متكئا ينظر لهم لا يفهم شيئا، وهو يقضم الشطيرة. أمر كهذا سيضر حاتم بشدة، وسيضره هو بشدة، فمن لرب هذه العائلة ذات التاريخ العسكري المشرف أن تكون ابنته يهودية أمريكية!

*****

استيقظت ديان وجسدها يرقص في نشوة.. أخذت دشا، وطلبت إفطارا سريعا من التوست والزبدة وكوب من القهوة بالحليب.

إنها تنتظر.. سيتصل بها عامر أو ندى، هي واثقة.

نزلت، فتجولت في شوارع وسط البلد. كانت التجمعات الشبابية هدفها؛ تستمتع وتستمع، وتكون مزيدًا من الصداقات. حينما آلمها الجوع، مرت على محل القزاز لتناول شطيرة من الشاورمة، ثم عادت

مرة أخرى للمقهى أمام فندق الكوزموبوليتان، لتجد إحدى رفيقات الأمس تنتظر.

هتفت:

- ماريان!

أومأت ماريان في ترحيب:

- ديان.. هل كل شيء على مايرام؟.. إنني أنتظر سامح خطيبي.. هل التقيت عائلتك؟

أومأت ديان برأسها، وهي تطلب شيشة عربية، وتهتف:

- الحياة مبهجة في القاهرة.. مبهجة للغاية.

obeikandl.com

الفصل الرابع عشر

الـرفـقـاء

كانت السادسة مساء تقريبا، حينما ظهر سامح خطيب ماريان. وجدها تجالس تلك الأمريكية الغريبة. لم يعرف لماذا لا يتقبلها.. شيء فيها يخيفه. ترك أفكاره على حافة الرصيف.. لوحت له ماريان، فمضى باتجاههما.

رحبت به ديان:

- مرحبا..

غمم

- مرحبا.

سأل ماريان:

- أين البقية؟

- وائل وسارة في طريقهم إلينا بعد دقائق.

- شاي بالنعناع، أم قهوة بالحليب؟

وجهت ديان الكلام له. شكرها بأدب وقال..

- سأنتظر البقية -ونظر لماريان- كيف كان يومك؟

- لا جديد..تخفيض المرتب سارٍ، كالعادة الشغل قليل.. صاحب الشركة يأتى يوم في الأسبوع، أكاد أشعر أنه يتعمد عدم العمل.

obeikandl.com

- كيف؟ (قالها باستغراب).

- بالنسبة لنا لا توجد سوى وفود من الهند أو تركيا وبعض الأمريكان والإنجليز حجوزات فردية؛ أما الوفود الفرنسية والألمانية والبلجيكية فقد أوقفت الرحلات العارضة للعام الثاني.. أمر يخنق للغاية.

قطع حديثهما الذي تنصت إليه ديان وصول وائل وسارة، ومعهما شاب آخر يشبه وائل بعض الشيء، وإن بدا أصغر في العمر، بنفس الشعر الخشن والوجه الأسمر الحزين، مع جسد أطول وعيون عسلية واسعة.

نظرت لهم ديان بفضول، ونظروا إليها بفضول أكبر..نهض سامح ليتحضن الشاب..

- سامر.. لم نرك منذ فترة

غمم في خفوت:

- دراسة..

وائل يعلم أن دراسة هندسة ليست بالهينة، ضحك وهو يجلب الكراسي لهم

- أصبحت هندسة صعبة بعدما أنتخب هو محمد مرسي وانتخبنا نحن شفيق.

اعترضت سارة

- أنا لم أنتخب شفيق مطلقا! كنت مقاطعة.

نظرت إليها ماريان..

- لو كنت تعلمين ما الذي سيفعله هذا المنحاز لأهله وعشيرته بالإعلان الدستوري، هل كنت ستظلين مقاطعة أيضًا؟

نظر إليها سامر نظرة ثاقبة..

- هذا المنحاز للحق وضع يده في عش الدبابير، وأي خطوة سيفعلها يجعل أي دبور يجري جري الوحوش على الشارع.

ضحك سامح بسخرية، وهو يردد كلمة "المنحاز للحق"

- مرسي يده ملوثة بدماء الاتحادية ودم جيكا.. هل تعلم من هو جيكا، ولماذا قتلوه؟ جيكا هو.. جيكا قتلته الداخلية!

زفر سامر بعمق..

- شهداء الاتحادية عشرة، منهم تسعة إخوان، حقيقة تنكرونها بكل حمق. جيكا قاتله يقتص منه ربي. سنظل نبحث عن الطرف الثالث، حتى نصحو على كارثة، والدم كله حرام...

التفت إلى ديان وقطع كلامه..

- قبل أن نكمل حديث الفرقاء، هل تعرفنا بالسيدة..

ومضت في عينيها ومضة كراهية تجاه هذا الشاب. به شيء ينفرها ويقربها في نفس الوقت، شيء رأته قبلا في خالد وفي عامر أخيها.. تمالكت نفسها بسرعة..

- ديان الليثي..مصرية أمريكية.

- سامر..شقيق وائل.. -ثم استطرد- هل تقيمين في مصر؟ واضح من لهجتك أنك هبطت مصر منذ مدة بسيطة.. تبدين مألوفة لي، وهذا غريب!

لحظة، ثم عاد ليقول:

- مهلا.. هل قلت الليثي؟.. هل لك علاقة بعائلة الليثي في الرحاب.. بداليا الليثي؟

همست:

- داليا!

لم تقابل ديان حتى هذه اللحظة غريمتها، التي جعلتها تغيّر كل حياتها. فركت كفها بعصبية..

- هي ابنة عمي.

سألها مندهشا:

- هل أنت أخت عامر؟..لم يذكر لي مطلقًا أن له أختًا أمريكية!

تعلقت العيون بديان.. ما تلك الصدف السخيفة؟..هل على الجميع أن يعلم قصتها؟.. تبا لفضول هؤلاء المصريين!.. أتت لتنقل وتقص عنهم لا العكس!

تعاطفت معها سارة.. ربتت على كتفها..

- هل أنت على ما يرام؟ كيف كانت مقابلتك مع عائلتك؟

obeikandl.com

لم تنطق ديان بأي كلمة، وقد ازادت العيون المتعلقة بها فضولا.. لم تفهم ديان أن هذا الفضول يحمل رغبة أولئك المصريين في مد يد المساعدة.

ومض الموبيل فجأة.. نظرت بفرح للرقم..

- هالو عامر!

- أهلا ديان.. أنا في الفندق، أين أنت؟

- في المقهى أمامه..

وومضت عيناها بمكر، وهو تقول:

- مع بعض الرفاق.

*****

فى السابعة مساء، ضربت داليا جرس الباب عدة مرات.. ترتدي الزي المميز لمضيفة طيران، وتضع حقيبتها أرضًا، وهي تبحث في حقيبة يدها عن مفتاح للفيلا.

دخلت وهي تجر الحقيبة جرا، وتمتمت غيظًا:

- لا شيء غير عادي.. بيت يهجره سكانه، حتى العاقل عامر.

كانت تتوق للنوم بشدة.. لا تدري بالعاصفة التي هبت على هذا البيت، وأي شبح أتى لينبش ماضٍ قد نسته أو تناسته، وتعايشت مع هذا النسيان.

لبست منامتها بعد دش سريع، وقبل أن تضع جبينها على الوسادة،

obeikandi.com

أخرجت صورة ضوئية من حافظتها. ابتسمت لابتسامته ونظرته الحنونة ولمعة الشمس على وجنته.. ليست أي شمس، إنها شمس مصر. قبلت الصورة بشغف.. أعادتها لمكانها.. ترقرقت عيونها بالدمع الرقيق، وراحت في نعاس بعيد بعيد

*****

مضت ليلى في الممر بخطوات كئيبة رتيبة، ينبض قلبها بعنف ويخفق في شدة.. في طريقها لزيارة حبيبها خالد. أتت مكالمة سريعة من موشيه في الصباح بالموافقة لمدة عشر دقائق، مع محاذير بعدم الإجابة عن أي سؤال، هذا إذا أرادت له الحياة.

فتحوا لها غرفة ضيقة كئيبة، خالية من أي رفاهية إلا مكتب قديم وكرسيين على نفس الحال. وقف على الباب مكبل اليدين بالقيود، وهمس في رقة:

- ماما!

obeikandl.com

الفصل الخامس عشر

خـالــد

لم تعرف تفاصيل وجهه للوهلة الأولى..لم تر سوى وجه أضناه العذاب وضاعت ملامحه الحنونة تحت سطوة الألم.. فقط عيناه اللتان تشعان بالأمل أخبرتاها أن خالد مازال هناك.. بنفس هامته المرفوعة، وإن ازداد جسده نحولا، وإن اعترى محياه شيئا من القسوة..تسمرت قدماها ولم تقو على حملها، وهي تهمس

- ابني!

خطا بتجاهها، ولكنه توقف في منتصف الطريق..رفت عيناه بشيء من البريق وهو يحبس دموعه..كانت كلماته كالسياط تجلدها وهو يقول:-

- إنني أدفع شيئًا من إثم يديك.

ارتاعت ليلى، وتراجعت للحائط..لم يعد ما يفصلها عن خالد ابنها بضعة سنتيمرات، بل أميال وأميال من العار والخجل والفضيحة.. شعرت أنها عارية.. شهقت ودموعها تنهمر كالسيل، وانتفض جسدها بعنف.

خطا بتجاهها وهو يرثو لحالها، مرددا تلك الكلمة التي تزيد ألمها:-

- ماما!

حاول أن ياخذها إلى صدره، رغم قيوده وأغلاله. احتوت وجهه بين راحتي يديها.. مازال هو خالد الحنون، ذلك الطفل الذي كان يشاغب الطرقات.. كيف أعمتها بصيرتها عنه؟.. نشأ وسط أطفال اليهود، لكنه لم ينس أنه عربي.. لم يدعه اليهود ينسى أنه عربي..لم تعمل له شيئًا، لكن كان به قوة جعلته يتعلم بنفسه كل شيء.. قوة لم تحملها أعماقها يومًا..

رغم خوفها عليه، لم يتعلم أبدأ الخوف.. يوم انفجر فيها غضبا، وترك لها إسرائيل كلها وسافر، لم يجلدها كما جلدها اليوم.. ظنت أنه يوم أن عاد سامح وغفر، لكنه لم يغفر، وإنه يدفع حياته صكًا لهذا الغفران.

حينما سألها عن ديان، سكتت الكلمات على شفاهها، والسجان يعلن انتهاء الدقائق العشر. دوى صوته كالرعد، وهم يجرؤُنه جرا والسلاسل تصطك بجدارن الممر

- ماما.. لا تتركي ديان.

ودت ليلى لو أن هاوية انشقت وابتلعتها إلى ما لا نهاية.. كم تاقت نفسها للموت تلك اللحظة.. جلست على الأرض ولم تفق إلا على يد السجان وهو يجرها للنهوض كي تغادر.

شعرت بكل الأيادي التي غاصت في لحمها، ودت لو أن لحمها تساقط، وأن عارها الأبدي انجلى عن جسدها. حينما وجدت نفسها خارج جدران السجن، شعرت أن مبنى السجن بأكمله يردد كلمة:

عاهرة!

*****

وقفت ديان بمرح وهي ترحب بعامر وندى.. أفاق عامر على يد سامر الممدودة، وخجل من إجابة السؤال الذي ارتسم على جبينه..

اتسعت الدائرة، والكراسي تصطف، وديان تقول في جزل الصياد الذي حظي بفرائس كثيرة.

- ندى، عامر.. هلا جلسنا قليلا.. يبدو أن لكم أصدقاءً هنا.

قاطعها سامر وهو يخاطب عامر..

-لم نرك منذ فترة..لم نعرف أن لك أختا أمريكية.

نظر له عامر بضيق وتجاهله، وتدخلت ماريان بسخرية، بعد أن رشفت رشفة كبيرة من العصير

- ألم يكن هو العبقري الذي أقنع الكثير بانتخاب محمد مرسي، الهارب من السجن، عميل حماس وأمريكا.

نظر لها عامر بغضب..

- لا أعلم أي هراء تروجين.

نظرت له بتحدٍ..

- ليس كلامي بأي حال من الأحوال.

تهكمت سارة..

- هو تقرير أمن دولة يا عامر.. فلتظل تغرس رأسك في الرمال حتى تختنق.

قهقه سامح ووائل بشدة، وعيونهما تنطق بالتسلية، بينما تصاعد الغضب من أعماق سامر مؤيدا موقف صديقه، ومؤنبًا رفاقه..

- كيف يتم الاستعانة بتقارير أمن الدولة المنحل، والذي تم حرقه والثورة عليه وعلى أفعاله وتسريح أغلب قياداته لانحرافهم؟ كيف بالله عليكم تكون لتقاريره أي مصداقية؟! بل والكوميديا، أن هذا التقرير لا يحمل أي تسجيلات لهجوم حماس المزعوم على السجون، ولا يوجد أي دليل فعليًا علي هذا الكلام الفارغ، الذي -لو كان صحيحا- يوجب معاقبة من شاهد جيش حماس الجبار، الذي قام بغزو مصر والهجوم عليها دون أن يتم القبض على شخص منه. لدينا الجيش والمخابرات وأمن الدولة، هل لهذه الدرجة هي أجهزة هشة وضعيفة حتى تخترقها حماس؟!

للأسف البعض مازال يستخف بعقول المصريين بكلام يدينه هو قبل أن يدين حماس، بداية هذه الأكذوبة كان عمر سليمان، الذراع الأيمن لمبارك، دون أن نرى منه دليلا واحدا على صحتها، ودون أن يخبرنا كيف لأجهزة الدولة أن تتركهم يصولون ويجولون في المدن المصرية دون أن يتم القبض علي فرد واحد منهم. ولكِ الله يامصر.

صفقت سارة بيدها بجزل

- سامر هو أفضل محامٍ للإخوان، وعامر نائبه بلا نزاع.

قاطعهم عامر وهو ينهض في غضب، ويمسك بيد ندى المشدوهة..

- إخوان فوبيا متمكنة!

بينما نهض باقي الرفاق، قالت ماريان وهي تنتفض من الغضب:

- إخوان فوبيا هي اللافتة التي تعلقون عليها رئيسًا فاشلا منحازًا لأهله وعشيرته..

تابعت ديان الجو المشحون، وأعماقها تفور ببركان من الدهشة البهيجة.. هذه البلد تقتل نفسها!.

أتى صوت عامر:

- ديان، هلا ذهبنا لنجلس في مكان أكثر هدوءً..

اعتذرت ديان وهي تخفي خيبة أملها في الاستماع للمزيد.. على كل حال فما حققته الليلة سيسعدهم في تل أبيب. مضت معهما، وهي تراقب ما يحدث لباقي الفريق، بينما وقف سامر، ووائل يسأله:

- لأين

قال في ألم

- اختلفت الطرق..

وغادرهم، وخليط على وجوههم جميعا من ألمٍ غطى عليه العناد.

*****

تراقصت أصابع ديان على اللاب توب بخفة.. ظلت طوال لقائها مع ندى وعامر تخزن الحديث الذي دار، حتى ترصه بكل حذافيره.. جلست معهما على كافيه على النيل، وبذلت جهدا رهيبا لتخفي كرهها لندى، التي شعت عيناها برقة وطفولة.

أما عامر، فقررت أن تنحيه من تفكيرها، فبه الشيء الكثير من خالد، والتركيز معه يرهقها، في وقت هي أحوج ما تكون لتماسك

obeikandl.com

أعصابها. ذهبوا وقد وعدوها بزيارتها مرة أخرى، وإقناع والدها بلم الشمل. ضحكت في خفوت، وهي ترص الحديث كله كما علموها في تجهيز المواضيع، بأحد المنتديات العبرية التي تديرها شبكة أمان

نامت سريعا وهي تشعر بشيء من الرضا، ثم غابت في أحلامها، حيث كان خالد ينظر لها غاضبًا، ويملأ وجهه الغرفة كلها. قامت مذعورة، وقد تبدد إحساسها بالأمان، وتكورت كهرة خائفة في فراشها حتى الصباح.

*****

تلقفت أجهزة أمان تقرير ديان، واجتمعت لجنة متابعة الثورة في مصر، والتي تضم حاييم موفاز بينها. ارتشف رئيس اللجنة شامير درعى كوبا من الماء المثلج، وهو يقول في نشوة:

- التقرير يتفق مع ما يبعث به عملاؤنا المنتشرون في مصر؛ لكن أحييك، فعميلتك سريعة ونشطة للغاية.. ليس مطلوب منها أكثر من هذا. لتستمر.. حذرها فقط من إبداء رأيها، المصريون شكَّاكون ولن يتقبلوا آراء أي أجنبي.

أومأت أوشرا ليفني معبرة عن سعادتها

- الحمقى..أصبح عدوهم الأول حماس!

قهقهت هي وبقية اللجنة، وحاييم موفاز يهتف في جزل :

- هذا يكفينا نصرًا يفوق نصر حرب الأيام الستة

*****

فى عاصمة إحدى الدول العربية، جلس ذلك الرجل، الذي اشتهر باسم النمساوي، مع أحد رجال هذه الدولة، ورجلي مخابرات من دولتين عربتين أخرتين، وشخص بانت ملامحه الشرق أوربية على الفور، مع مندوب إسرائيل، في انتظاره. دخل بجسده النحيل، وجلس في عصبية..

- لتعلموا أنى لا أخون وطني، وأن تعاملي معكم ليس إلا لإخراج مصر من براثن الاحتلال الإخواني.

أيده عملاء الأمن في الدول العربية المشاركة في مجاملة معتادة، فقاطعهم مندوب إسرائيل في جدية:

- هذه عبارات تقال للميديا.. تعلمون جميعا أن إسرائيل كدولة مرتبطة بدولكم، فإن سقطت إسرائيل سقطتم، فلا داعي لكلمات مثل الخيانة وتلك السفسطة التي ذهب أوانها إلى غير رجعة.

قاطعه النمساوي في دبلوماسية اشتهر بها:

- لا داعي لكل هذا يا سادة، فالخطر سيحرق الشرق الأوسط كله.. دعونا من كافة الخلافات الهلامية.

وضع يده على الطاولة، فوضعوا أيديهم جميعا، يتفقون على ميثاق القضاء على الاخوان في العالم كله

Inizio modulo

الفصل السادس عشر

تـصعـيـد

Fine modulo

كانت ندى تدندن بلحن شهير لجورج مايكل، أحد أشهر مغني الروك بوب.. نهرها عامر وهو يقود السيارة في طريق العودة:-

- ألم تجدى سوى هذا الشاذ لتغني له؟

ردت بحدة..

- ألم تكن تسمع له قبلا؟.. تغيرت يا عامر وأصبحت لاتطاق.

نظر نظرة جانبية لأخته الصغيرة الغاضبة..

- قد يكون التغير للأفضل يا ندى.

قاطعته في حدة..

- أي تغيير للأفضل؟.. إنك تخسر أصدقاءك.. من أجل ماذا؟ رئيس فاشل وجماعة مستغلة؟.. اضغط على نفسك قليلا، لتشاهد الرأي الآخر.. اسمع باسم يوسف مثلا، كيف يكشف حقيقتهم، إنهم مسخرة وفشلة، بلحاهم المشعثة كالمقشة وجلابيبهم القصيرة.. أعوذ بالله من هذه الأشكال!

ارتسمت المفاجأة على وجه عامر، لا يصدق أن أخته تتفوه بهذه الأفكار.. كانا قد وصلا إلى المنزل، فضغط المكابح بحدة.. نظرت له ندى غاضبة من تصرفه، وقبل أن تغادر السيارة، أمسك بذراعها بقسوة:-

obeikandl.com

- هل وصل تفكيرك إلى السخرية بأي سمت إسلامي؟.. هل مسحوا عقلك يا ندى ببرامج تافهة؟

لم ترد عليه، وأزاحت يده بعنف، وانطلقت تفتح الباب في حدة. اتجهت مباشرة إلى غرفتها، فوجدت داليا نائمة، ففرحت لوهلة.. إلا أن الغضب اعتراها مرة أخرى..

- ستجد نصيرًا لأفكارك السخيفة يا عامر!

*****

جلس عامر وحده في الصالة الواسعة.. دخل حاتم وهو يرتدي سروالا أسود من الجينز وقميصا أبيض مفتوح، تفوح منه رائحة عطرة، وهو يلهو بسلسة مفاتيحه

توقف عند عيني عامر المؤنبتان.. يكره هذه النظرة، تذكره بنظرة سلمى المؤنبة. ما الذي يضير هؤلاء في قليل من اللهو البرئ؟لم يلتزم بيبت حتى الآن، فما المانع من الخروج مع بعض الصديقات.. هن يقعن في طريقه. ساءه أن يزيح عامر بصره عنه، اقترب منه وربت على كتفه ليقطع الجمود بينهما.. رغم كل شيء هو يحبه. عامر ليس ابن عمه، بل أخوه الصغير.. هذا البيت لطالما جمع بين ساكنيه الحب والمودة.

- كيف كانت مقابلتك مع الأخت الأمريكية اليوم؟

لم يرد عامر، فنظر له حاتم بتعاطف..

- هل تود الحديث؟ هل هناك خطب ما؟

قال عامر

- تشاجرت مع ندى.

ضحك حاتم في حنو..

- ندى الرقيقة المشاكسة!.. انهض لأصالحك عليها.

دخل أحمد الليثي، نظر إليه عامر وحاتم، وفي نفس اللحظة خرجت ندى من حجرتها، واحتضنت أباها وهي تبكي.

- بابا!

ربت عليها أبوها في حنان.. تذكره ندى كثيرا بأمها. مسح دموعها وهو يتساءل ما الذي أبكى صغيرته، فنظرت هي إلى عامر، الذي هتفت أعماقه:

"لا تبكي ندى، رجاء.. إنهم يزرعون الكراهية والعداء بين الجميع"..

لم يتخط كلامه رأسه، ولم يحرك ساكنًا، ولم يجرؤ على أن يلتقي بنظرة أبيه. قطع التوتر خروج داليا من غرفتها وهي تتثائب..

- يبدو أن الجميع تذكر أن له بيت.. عدت ولم أجد أحدا..

استفاقت سريعا على وجه ندى الباكي. نظرة واحدة لعامر، فهمت بها الموقف. رفعت حاجبيها باستياء، ثم نظرت لحاتم أخيها، الذي حاول تلطيف الموقف..

- أهلا بالرحالة.. كيف كانت رحلتك؟

جلست وهي تقول:

- دبي رائعة المدن العربية.. لن تصدق من كان معنا.. شيخ الأزهر بنفسه.. على ما أعتقد يحضر أحد المؤتمرات.

قال عامر بخفة..

- زيارات الجميع لدبي تثير الريبة!

نظرت له ندى شذرا، فهدَّأ والدها الموقف:

- عامر، كف عن مشاكسة ندى. لعنة على السياسة التي خربت العقول.. المهم كيف كان لقاؤكم بديان اليوم؟

استغرب عامر وندى حديث والدهما ببساطة عن ديان، بينما هزت داليا رأسها وهي لاتفهم شيئا

- ديان من؟؟

رفع حاتم حاجبيه في تعجب مصطنع..

- ألا تعرفين من ديان؟!

ردت داليا بنفس طريقة شقيقها:

- وهل علمت كل وكالات الأنباء، وأذاعوا النبأ دون أن أدري؟

ضحكت ندى، وتنهدت في خمول:

- سنخبرك كل شيء

جلسوا، كأسرة بسيطة واحدة، بينما عقل أحمد الليثي غارق كيف يخبرهم أن هذه الأخت التي ظهرت من العدم يهودية، وهو أدرى الناس بطباع اليهود.

*****

دخلت سارة وجلة إلى مكتب مدير القناة التلفزيونية التي تعمل بها.. قال أشرف العنتيل، وهو يطلب منها أن تجلس:

- سارة، أعلم مدى إخلاصك لعملك.. لقد رشحتك لبرنامج موجه لتوعية الناس. رأيت الكارثة التي وقعنا بها، وقد انتخب الجهلاء الإخوان والسلفين.. إن التيار الإسلامي يعصف بمدنية مصر. إنهم يكرهون كل ما هو مبدع.. انظري كيف يهاجمون أسطورة الأدب في مصر نجيب محفوظ، ويهددون بحرق كتب سيد القمني..

أكملت سارة:

- ليس هذا فقط، بل يهاجمون وسطية الأزهر، ويحاولون أخونته بكل الطرق.

أومأ موافقا..

- وما خفي كان أعظم يا سارة.. هل رأيت هذا الكائن اللزج المسمى محمد مرسي كيف يتحدث على الستينات؟.. كاره عبد الناصر.. يريد أن ينال من زعيم أمة عربية بأكملها!

ضحكت سارة: - يحتاج مترجم.. لا أفهم منه شيئا.

صمت أشرف قليلا:

- هم الرعاع الذين يحاولون أخونة الدولة. لا بد من محاربتهم والقضاء عليهم.

ارتج على سارة في بادئ الأمر تلك الألفاظ العنيفة، إلا أنها أفاقت على صوت أشرف العنتيل وهو يفصل تفاصيلها بنظرة عينيه..

- هذا هو العقد الجديد.

نظرت للرقم المكتوب، ولم تصدق عينيها، والعنتيل يلاحقها بصوته العميق..

- نريد الهمة.

فترد في حماس:

- رهن إشارتك.

أجاب متأملا لها:

- ولا بأس من الاحتفاظ بحجابك

*****

في أحد فنادق الهرم الشهيرة، جلس المندوبان العربيان وأشرف العنتيل، ولفيف من أشهر الإعلاميين والإعلاميات، وأحد أخطر رجال المخابرات العامة المصرية..

قال المندوب الأول لدولة الخليج وقد بدا يحسب كلماته جيدًا:

- دولتنا مستعدة تماما لتمويل أي شيء يوقف هؤلاء المتأسلمين.. ما رأينا سوى حركات مدمرة للمنطقة، بدأت في تونس وليبيا واليمن ومصر، ولن يسكتوا حتى تصل إلينا.

نظر له ضابط المخابرات يخفي استخفافه. تعلم في مهنته أن الإخوان خطر مكانهم السجون، هذه هي عقيدته العسكرية ولن تتغير. هو لا يهمه عروش هؤلاء العرب، بقدر ما يعنيه وقف الخطر الإخواني الذي قد يجر مصر لحرب أخرى مع إسرائيل، ومصر لن تحتمل حرب

obeikandl.com

أخرى. هؤلاء أصبحوا خطر على الأمن القومي بالانحياز الأعمى لحماس الإرهابية، بما يقلب موازين المنطقة، ومازال شبح العراق يجول في مخيلة كل ضابط مصري.. نظر إليه مضيِّقا عينيه.. إنه يحتاج لتمويلهم.. للأسف!

لم يظهر أي أثر لتفكيره وما يختلج في نفسه من قلق على وجهه.. تعلقت العيون به، وهو يقول:

نبدأ على بركة الله.. حركة تمرد

*****

opeikandl.com

الفصل السابع عشر

ا لأب

كانت الساعة تشير للحادية عشر مساء.. استقل أحمد الليثي سيارته مرة أخرى، بعد أن طلب سائقه فتحي. عصفت أعماقة بقلق مبهم، وهو يطلب منه التوجه لفندق الكوزمبوليتان في القاهرة.. وعد عامر وندى بزيارة ديان.. وعدهما، وهو لا يخلف وعدًا

رن جرس التليفون في حجرة ديان، التي جافاها النوم بعد حلمها المرعب. اهتز كيانها وهي تعلم اسم من يطلب لقاءها.. قاربت الساعة منتصف الليل!

ارتدت سترة خفيفة، فبرد القاهرة محبب للنفس، غير قاسٍ. كان الليثي يجلس هادئًا في ركن باستقبال الفندق، فهتفت ديان بارتعاش:

- مرحبًا!

أشار لها بالجلوس، وهو يقول في تؤدة :

- لا أكن لك ضغينة ديان.. لكن كيف يطلب مني أن أتقبل ابنة يهودية؟

ارتعشت أكثر وهو يقول:

- عليّ أن أخبر ندى وعامر.. لن يتقبلا هذا الأمر مطلقا.

لمعت عينا ديان لوهلة، وأحمد الليثي يخط رقما على أحد شيكاته..

- أظن هذا المبلغ يجعلك تبتعدين كليًا عن حياتنا.

obeikandl.com

كان المبلغ كبيرا بالفعل.. قالت وهي ترفع حاجبيها:

- كل هذا كوني يهودية!.. أنت عنصري.

نظر إليها بعمق..

- ديان.. أنا لا أصدق هذا الحنين والاشتياق العائلي المفاجئ.. رأيتك منذ عشر سنوات.. مازلت أتذكر تلك النظرة الكارهة في عينيك ديان. كنت غضة تفضحك عيونك، الآن لا أجد سوى نظرة ثلجية. أعلم أن الكره مازال بداخلك أضعاف أضعافه.

رفع حاجبيه..

- ترى ماذا وراءك ديان؟...لماذا تركت إسرائيل وأتيت هنا؟

ارتج على ديان.. كيف عرف؟

- أتعلمين ماذا يعني إبلاغ السلطات بشأنك؟

غمزت بعينها بسخرية، وقد تمالكت نفسها بعض الشيء..

- أبوة دافئة.

ضحك بنصف ابتسامة..

- هي أبوة دافئة من أجل ندى وعامر.. لن أخسرهما من أجل أمر كهذا.. لكن إن لم ترحلي فسأضطر مكرهًا.. أرسل لك باكرا تذكرة للرحيل لليونان، ومن هناك ارحلي حيما تشائين. الرحلة في السابعة مساء..لا أريد أن أسمع منك مرة أخرى.. في مقابل هذا، وقعي على هذه الورقة.

قرأتها ديان بخفوت:

- أقر أنا ديان الليثي أن ما يجمعني بعائلة الليثي هو مجرد تشابه أسماء، وليس لي بهم أي علاقة عائلية، أو معاملات مادية.

أعطاها القلم، وأعماقها تموج بشتى الانفعالات. ركزت عينيها في الورقة، وقالت دون أن تنظر إليه:

- هل منحتني بعض الوقت للتفكير؟

تنهد في ارتياح..

- كنت أعلم.

نظرت إليه:

- ماذا؟

- ليس الأمر فقط كونك إسرائيلية.. إنك سترجعين لمن بعثوك هنا.

قالت بذعر:

- لا لا.. ليس الأمر كما تظن.

- إذًا هي حنين لأبوة دافئة؟

همست بغباء لم تستطع إخفاءه:

- مطلقا

ضحك الليثي مرة أخرى بمكر..

- كنت أعلم.. امضِ ديان.. امضِ على الورقة، ورددي الكلمات، لأنني سأصورها بفيديو الموبيل.

obeikandl.com

رضخت ديان والدموع تتألق في عينيها، وأعماقها تموج بغيظ وغضب يخالطه الخوف. كم كرهت أحمد الليثي لحظتها !

بعد انصرافه، هرعت لحجرتها، خطت رسالة بنفس طريقتها السابقة لحاييم موفاز. أتاها رد موفاز السريع على الموبيل، صرخت وهي تسمع صوته:

- حاييم، لماذا لم تخبرني أن هذا الرجل ليس فقط مهندسا؟.. أسلوبه يدل أنه تلقى تدريبا.. تدريبا يشبه بعض الشيء التدريب الذي تلقيته.

غمم حاييم..

- اهدئي ديان، سيتم التعامل.

كانت لديهم بعض الشكوك في أحمد الليثي، ولكنهم أعدوا العدة تماما.. لن يتركوا شيئا يوقف مخططهم.

تلقى فتحي سائق أحمد الليثي اتصالا ما، ثم وضع الموبيل جانبا هو ينظر لأحمد الليثي يجلس منهكا مغمضا عينيه في الكرسي الخلفي للسيارة.. كتم أنفاسه، وعدل من وضع نظارته، ثم أطلق رذاذ معطر السيارة.. الذي لم يكن عطر على الإطلاق.

فتح الليثي عينيه بصعوبة، والغاز المخدر ينطلق في السيارة، نظر بارتياع لفتحي، الذي كان يسارع بتثبيت كمامة على وجهه.. همس بضعف "ندى!"

أوقف فتحي السيارة على جانب الطريق الخالي في هذا الوقت، ونزل إلى الليثي وقد غاب عن وعيه، ودس في فمه دواء يرفع نبضات قلبه الضعيف، لأقصى درجة!

*****

استيقظت سلمى على رنين الموبيل.. صوت ندى يصرخ..

- سلمى..بابا.ل

م تفهم شيئًا.. ثمة خطب ما.. عاودت الاتصال بندى، ولم تجب، وبحاتم وعامر.. نفس الشيء!

ارتدت معطفا على ملابسها وغطاء للرأس..قابلها والدها على السلم..

- سلمى ما الخطب؟..

قالت ونبضها يتزايد:

- ثمة شيء لدى ندى، كانت تصرخ.. شيء يتعلق بأبيها.

- انتظري، سآتي معك.. أغير ملابسي..

قالت بسرعة:

- سأذهب الآن.. واضح أن الأمر لا يحتمل. إنهم بجانبنا وسآخذ السيارة..

- إذًا سآتي معك هكذا.

وصلت سلمى وأبوها.. وحاتم وعامر يخرجان جسد أحمد الليثي من السيارة. حوقلت بضعف، وقد آلمتها النظرة الباكية في عيني حاتم.. الليثي مسجى على ظهره، نزلت إلى الأرض بجواره، تتحسس نبضه، وإن أخبرتها برودة جسده أن الرجل ميت منذ فترة بالفعل!

صرخت بها ندى:

- هل سيفيق.. أجيبيني يا سلمى!..

لم تسطع مواجهة ندى ولا داليا التي وقفت بلا حراك..ركع عامر يحتضن جسد والده، وهو يقرأ آيات من القرآن ويبكي، بينما حاتم يحتضن قدمي عمه الباردتين، وقد اعتصر الحزن الشديد قلبه.

انتبهوا جميعا على ضوضاء ارتطام ندى بالأرض، وقد وقعت لا تدري بالعالم شيئا.. وانهارت داليا بجانبها وقد ارتخت يدها بجانبها.

*****

- كيف هي؟

أجابته سلمى:

- أعطيتها حقنة مهدئة..لم تحتمل أعصابها

غمغمت داليا:

- ومن يحتمل؟.. وكأنه كابوس!

قالت لها سلمى في إشفاق:

- اخلدي قليلا للراحة أنت وعامر. سيقام سرادق العزاء في السادسة، أبي سيشرف على كل شيء.

غص حلق عامر وهو يمسح دموعه..

- سأذهب معه.

حينما غاب، قامت داليا بدورها..

- سأنام قليلا..

تلفتت منتبهة..

- أين حاتم؟

ذعرت سلمى، فقد نسيت أمره تماما منذ البارحة، ووضعت كل تركيزها في داليا وندى وعامر.. تساءلت بدورها..

- داليا.. أظن رأيته في غرفته؟

طرقت الباب فلم يجب.. كان مفتوحا، فدخلت على استحياء. كان بالداخل، ينام على الأرض على ظهره، يحدق في السقف بينما تنهمر دموعه. همست سلمى وهي تجلس على ركبتها بجانبه:

- حاتم!

اقتربت منه وجلة.. لم تلمسه قبلا.. حبيبها وزوجها. مسحت وجنته بأناملها، نظر إليها بضعف، فاحتوت وجهه بين راحتيها. هم برأسه بعض الشيء، فأخذتها في حضنها، وهي تردد في أذنه آيات من القرآن

*****

obeikandl.com

تلقت ديان رسالة عاجلة من حاييم..

"مبارك وفاة البابا" مع ضحكة ساخرة.. لم تستطع تفسير أحاسيسها.. هذا الرجل الغريب أبوها.. لا تعرفه، ولم تر منه ما يحزنها عليه.. المفروض أن ترتاح لنجاتها من خطره، ولكن.. شيء في صدرها يوخزها بالألم.

في المساء، ارتدت بلوزة سوداء وبنطال أسود.. وصلت فيلا الندى، ودخلت على الصغيرة ندى وهي تبكي بحرقة. ولم تغب عن عينيها تلك تقف على رأسها، وتشبهها كثيرا!

obeikandl.com

الفصل الثامن عشر

خطة مـزدوجة

رتبت داليا حجرتها بعناية.. كان قد مضى شهرين على رحيل عمها أحمد الليثي.. طفرت عيناها بالدموع، وكأنها تريد حزنًا فوق حزن.. ترامت إليها ضحكة ندى وصياحها.. تنهدت.. لا بأس، للبعض القدرة على تجاوز الأحزان..

ارتدت زيها كمضيفة طيران، فلديها الليلة رحلة لبرلين. تعشق هذه المدينة، التي تنام منذ الثامنة مساء، لتستيقظ في السادسة صباحًا.. أخذتها الذكرى لسنوات ماضية.. لشتاء برلين الثلجي، في زيارة لها مع عمها أحمد الليثي، مكافأة لها على تخرجها بامتياز من الجامعة. هناك، في ذلك اليوم، جلست على أحد الدببة الخشبية، التي تشتهر بها المدينة بينما نظرات الاستهجان تلاحقها .رنت ضحكته العابثة..

- دببة برلين للمشاهدة، وليست للجلوس..

غضبت وهي تقوم منتفضة.. يبدو أنها ارتكبت خطأ ما.. سارت مبتعدة عنه؛ لكنه تابعها وهو يمد لها كوبا مليئا بالقهوة الساخنة..

- تفضلي.. أعتذر..

انتبهت لحظتها أنه قالها بعربية واضحة.

خرجت من أفكارها مرة أخرى، على صوت ندى المشاكس، يخالطه صوت ديان، التي كانت قد جاءت للإقامة معهم.لم تحب ديان أبدًا.. شيء بها يثير الريبة..

خرجت وهي تسحب حقيبة سفرها خلفها.. نظرت لندى

- ندى.. أليس لديك محاضرات اليوم؟

أجابت ندى وهي تجعد أنفها:

- بلى..ولكن لدي وديان بعض اللقاءات في كافيه الأوبرا.

رفعت داليا حاجبيها بتعجب:

- لقاءات!!

شعت نظرة ديان لها كراهية.. النفور بينهما متبادل. قاطع صوت ندى مبارزة عينيهما..

- نعم، أعمل على مساندة حركة جديدة اسمها تمرد، لسحب الثقة من محمد مرسي، وفضول ديان يدفعها لمصاحبتي.

قاطعتها داليا بهدوء:

- دكتور محمد مرسي.

توجهت ندى لديان شارحة:

- داليا من مساندي - وبسخرية- الدكتور محمد مرسي.. رغم أنها لا تنتمي للأهل والعشيرة!

تجاهلت داليا مشاكسة ندى، فلا ينقصها مزيد من التوتر. ألقت ندى نظرة على ملابس داليا ..

- هل لديك رحلة؟

- نعم هذه المرة لبرلين.

التمعت عيناها بالدموع.. تعلم ندى ماذا تعني هذه المدينة لداليا.. احتضنتها وهي تقول:

- ترجعى بالسلامة.

ضحكت داليا كي تداري دموعها..

- فقط !دون ألواح الشيكولاتة والعطور؟

ضحكت ندى بمرح..

- ندى كبرت يا أبلة داليا.

قرصت ندى من وجنتها، والتفتت فإذا بعينيها تصطدمان بنظرة كراهية تشع دوما من عيني ديان، تنجح في تغييرها بسرعة. هتفت داليا في أعماقها: "هذه الفتاة لا تؤتمن!"

دخل عامر في تلك اللحظة، فنظر لأخته وابنة عمه..

- هل أنت مسافرة؟..هل أوصلك للمطار.

ردت داليا..

- مع أن سيارة الشركة ستمر، لكن لا بأس بعرضك.

نادته ندى، فلم يجب.. عقدت داليا حاجبيها.. المشاجرات بين ندى وعامر أصبحت رهيبة، وعامر غاضب من شقيقته ويخاصمها كثيرًا.همت بقول شيء، لكنه خرج مسرعا من باب الفيلا، وهو يسحب حقيبتها.

داليا:

- عامر، حاول أن تجد حلا لك مع ندى.. لا أحب أن أراكما هكذا.

تنهد عامر، وهو لا يلتفت عن الطريق..

- أصبحت ندى هجومية وعنيفة.

أومأت داليا متفهمة..

- الإعلام مجند بشكل غريب.. أشعر أننا أمام خطة ممنهجة لتشويه التيار السياسي الإسلامي.. لا أعرف سببا لهذه الحملة الشعواء، ولكن أشعر أن شيئًا سيئًا سيحدث. لاحظ أيضا تلميعهم لصورة أحمد شفيق.

ترددت لحظة، ومطت شفتيها:

- تعلم، بحكم عملي في مصر للطيران أعرف الكثير عن مصائبه.. من تفتيته للشركة لثلاثة عشر شركة، وتعيين أذياله، إلى بيع الطائرات، إلى عمل كوبري خاص يصل المطار إلى منزله .. ما يؤلمني أن دكتور مرسي لا يتخذ ردود فعل قوية مع هذه الحملة ضده، ويسمح بإهانته، فتسقط صورته ضعفا عند الكثيرين.

أومأ عامر..

- الرجل يعمل بجدية، لديه هدف يريد الوصول إليه دون ضجيج.

ردت داليا:

- هذا حقيقي. لي صديقة، زوجها يعمل بالحرس الجمهوري يقول إن الرجل شعلة، وأنهم لا يستطيعون ملاحقته، في زياراته الخارجية لا يبيت ليلة زيادة، توفيرًا للنفقات، يعامل حراسه ببساطة ويعطيهم حقوقا لم يحصلوا عليها قبلا.

تنهدت..

- لكنه في الحقيقة فاشل في الوصول إلى الشعب.

كانوا قد وصلوا صالة السفر الدولي، أنزل لها عامر الحقيبة، وعاد إلى السيارة، بينما أدرات داليا له ظهرها متجهة لدخول المبنى. ناداها، فعادت مستفهمة..

- ترجعي بالسلامة..

ضحكت وهي توصيه بندى، فهي لم تعتبر ندى وعامر يومًا أولاد عمها، بل هم دائما أخواها الصغيران. وعدها عامر، وعاد للمنزل عازمًا على مصالحة ندى، فلم يجد أحدًا سوى الصمت الذي احتل أركانه. حانت منه التفاته لصورة والده.. لمعت عيناه بالدموع، ثم هاجمته صورة ديان، وانقبض قلبه بشدة.. لماذا صدق أن أباه طلب منها الإقامة معهم؟..زفر معترضا على نفسه.. هي أخته شاء أم أبى.. صحيح انه لا يشعر تجاهها بهذا الشعور، لكنه أمر يقره الواقع.

طلب ندى على الموبيل.. فلم ترد.

*****

وفي الكافيه بصحبة ديان، سكانت تنظر إلى شاشة الموبيل حتى صمت. سألتها ديان..

- لماذا لم تجيبي؟

هزت ندى كتفيها

- إنه عامر..لم يجبني في المنزل، فلما أجيبه الآن؟

ودت ديان لو اعتصرت عنق هذه المدللة بيديها، لكنها رسمت ابتسامة، وأخفت تعبير وجهها مرتشفة العصير. تركته فجأة وقد تذكرت شيئا..

- لماذا بكت داليا اليوم؟..سافرت عدة مرات، ولم أرها في مثل هذه الحالة!

همست ندى بحزن:

- تثير برلين الحزن لداليا، فهناك التقت زوجها، وهناك فقدته.

رددت ديان..

- زوجها!.. أعرف أنها مخطوبة فقط!

قالت ندى باستغراب:

- تعرفين ممن أنها مخطوبة فقط؟.. هل أخبرك حاتم؟

أومأت ديان، وقد جف ريقها لهذه الغلطة الغبية..

- نعم، حاتم.

تنهدت ندى..

obeikandi.com

- لم يوافق حاتم أو والدي على زواجها، ووضعا العراقيل أمامهما.. وافقا أمام إلحاح داليا على خطوبة. يوم سمعت داليا الحديث بالصدفة بين حاتم وأبي باعتزامهم فض هذه الخطوبة بأي شكل، قررت داليا أن تتزوجه. كتبت كتابها، وعادت لتخبرهم.. كانت في الثالثة والعشرين من عمرها، وعاد هو لبرلين.

امتعضت ديان.. ولكنها تلهفت أن يكسر موقفه عشقها لشهامته..

- هل تركها تواجه الأمر وحدها؟

- مطلقًا.. أتى معها.. وقد تلقى من حاتم اللطمات واللكمات.. كان رجلا حقيقيا. مازلت أذكر طرد والدي له، كانت فضيحة في الحي كله. ظن الجميع أنها خطوبة فقط، حين اضطر للعودة لبرلين لأن إقامته انتهت.. لقد عمل حاتم ووالدي على طرده بأي طريقة.

بللت شفتيها، وأكملت وقد كسا الإعجاب وجهها مع الذكرى:

- ولكنه لم ييأس.. استطاع عن طريق أحد اقاربه إخراج داليا، والسفر بها إلى برلين.. حتى الآن لا نعرف ماذا حدث.. هي لا تحكي أبدا، فقط تقول إنها فقدته هناك.

امتلأت ديان بمزيد من الكراهية لذلك الذي كان أباها، سألت في غضب لم يمكنها إخفاءه:

- ولماذا كل هذا التعنت؟

ردت في بساطة:

- بسبب جنسيته.

- جنسيته!

- نعم، يحمل الجنسية الفلسطنية

- ولكن كيف يعيش في ألمانيا..

- يحمل إقامة مدى الحياة، لأنه كان متزوجا من ألمانية سابقًا..

شردت ديان مع هذه المعلومة.. لم تنتبه إليها ندى وأكملت:

- تغيرت داليا بعدها تماما.. التحقت بطاقم الضيافة، وفي كل زيارة لبرلين، أشعر أن وراءها شيئًا ما.

ارتشفت ديان العصير ببطء، وقد أكل الغل قلبها..

"ابحثي ما بدا لك داليا الحزينة.. حبيبك يقبع في أقذر سجون تل أبيب"..

عقدت حاجبيها وهي تتأنى في تفكيرها، كأنما تتعرف على خالد من جديد..

"يجب ألا تحزني كثيرًا داليا على هذا النذل، فقد باعك منذ سنوات. بينما أنت تبحثين وتبحثين، كان هو يقبع في أحضاني.. شيء ما غير خططه يا داليا.. شيء أتى به لإسرائيل!

إنه يستحق انتقامي.. -أخذت نفسا عميقًا- يستحقه بكل تأكيد!..

- أي لغة تتحدثين؟!

انتبهت بذعر.. هذه الغلطة الثانية لها.. رددت العبارة الأخيرة بالعبرية، ونست ندى التي تجلس أمامها. إنه خالد من يضيِّعها مرة أخرى. ضحكت بعمق: - الأيرلندية...

لم تعلق ندى، فقد وصل في هذه اللحظة ستة أفراد من الحملة.. تمرد!

*****

جلس سالم الجارحي - والد سلمى- في الاجتماع المغلق الذي جمعه برجال أعمال آخرين.. هذه الوجوه يألفها جيدا منذ اجتماعات الحزب الوطنى. وصل المسؤل الكبير، فوجل لوهلة.. إنه أحد الوجوه المميزة في أحد أخطر الوزرات في الحكومة الحالية، فوجئ بالرجل يشدد على الجميع بالسرية التامة.. والتركيز لوضع الخطة..

*****

وقف رجل إدارة الأزمات في الدولة العظمى أمام رئيسه.

- روبرت.. تقريرك رائع.. سفيرتنا تقوم بمهمتها على أكمل وجه، وتنسق مع مخابرات وأجهزة دول عربية عدة.

ضحك..

- هؤلاء العرب بلهاء يتكالبون لحماية عروشهم.

الفصل التاسع عشر

د الـيـا

مازلت الثلوج تغطي شوارع برلين حتى في ابريل..

همست داليا بحزن، وهي تنظر من خلف زجاج غرفتها، الكائنة بأحد فنادق برلين. ودت لو تعالج مزلاج الشباك الثقيل، وتغوص بجسدها في الثلج.. مضت سنوات على فراقه، ومازال قلبها على عهده. أمسكت جوالها، ضربت رقمها، تريد الاطمئنان عليها

جاء الصوت الصوت النائم الرقيق مرددا:

- هالوا

فكرت أن تغلق الموبيل، فليس هذا صوت رئيفة الناغي.. سألت بألمانية ضعيفة:

- هل لي التحدث برئيفة الناغي من فضلك؟

ثمة صمت على الجهة الأخرى ثم تساؤل:

- داليا!

لم تجب داليا، فرد الصوت مكملا:

- داليا، أنا لينا.. لينا الناغي.

همت بإغلاق الخط، فعلاقتها بلينالم تكن بالجيدة قط. كانت في الثامنة عشر حين التقتها منذ خمس سنوات، مدللة محمد الناغي

وابنته من زوجته الألمانية، التي تركته ورحلت، ليتزوج من رئيفة التي حملت لقبه بعد ذلك.. سورية دمشقية، تزوجها الناغي لترعى ابنته، ولتجد من ينفق أيضًا على ابنها الوحيد من زواج سابق.. صفقة طيبة.

أحبت داليا رئيفة كثيرا، فقد كانت امرأة صبورة غير متكلفة، طيبة وحنون.. ظنت في البداية أن لينا ابنتها، لكن غيرة لينا الواضحة وافتعالها المشاكل معها، سحقا ظنها. خرجت من أفكارها على صوت لينا مجددا..

- داليا!

ردت:

- نعم

جاء صوت لينا فرحًا..

- داليا، أنت في برلين؟

- نعم.. هل لي التحدث مع رئيفة؟

تنهدت لينا..

- للأسف داليا، تعرضت رئيفة لحادث.

- حادث! أي حادث؟

تعرضت للانزلاق في المنزل. إنها بحالة جيدة الآن..لم تسألي داليا عنها منذ أعوام.. هي نائمة الآن.

مسحت داليا دموعها..

obeikandl.com

- سآتي لزيارتها.

- لكنها لا تقيم في منزل الناغي الآن، وكذلك أنا..

أعطتها لينا العنوان.. مقاطعة البوندزاليه- ٥٦ ناخود شتراسه

طلبت داليا تاكسي بالتليفون.. كان المكان قريب منها، بناية متعدد الطوابق، لكنها لا تحمل بالتأكيد إطلالة بناية محمد الناغي. فتحت لها الباب لينا، ترتدي ملابس بسيطة، وقد قصت شعرها الأشقر الذي كانت تعتز بطوله!..

- مازلت جميلة يا لينا.. خليط من الشرق والغرب..

احتضنتها لينا ببساطة، وطبعت على وجهها قبلة، وقالت

- تفضلي.

أخذها ترحيب لينا الودود، وهي تقودها للجلوس على أريكة بسيطة، وتجلب لها كوب القهوة الغنية بالكريمة والسكر

قالت بود:

- أتذكر أنك كنت تحبينها هكذا.

أجابت داليا بلؤم متضاحكة:

- وأتذكر أنك وضعت ملحًا يومًا بدل السكر.

ضحكت لينا ببساطة..

- انسِ لينا القديمة، فهناك الكثير من التغيرات.. لحظات، وسأوافيك برئيفة، فعليّ أن أعدها لتأتي.

ذهبت لينا وسط استغراب داليا.. التي ارتشفت قليلا من القهوة التي أعجبتها.. تجولت ببصرها في الشقة.. إنها استديو صغير!

سمعت صرير عجل يتحرك على الأرض، انتفضت داليا وهي تجد وجه رئيفة الحبيب ولينا تدفع الكرسي المتحرك!.. احتضنت الوجه الغائر بخطوط الزمن بيديها.. قبعت للحظات في حضنها، ولم تجرؤ على الكلام. في وجه رئيفة رأت كل ملامح زوجها الحبيب..

قالت لينا بصوت مرح تحاول به تغيير الأجواء، وهي تتجه للمطبخ:

- ماذا ترغبين للإفطار داليا؟..يوجد بيض وجبن وبعض البسكويت.

اتسعت عينا داليا بتعجب.. التي تقف أمامها بعيدة كل البعد عن لينا المدللة!.. ردت رئيفة على ملامح داليا المتعجبة:

-لم تعد لينا المدللة.. تغيرت الصغيرة الحبيبة كثيرا.. أفلحت سنوات صبري وحبي لها.

نظرت داليا ليعيني لينا المرحة، وهي تقدم لها البيض الشهي، ثم جلست وهي تطعم رئيفة بيديها وتدللها..

- لن أرضى إلا بأكلك للطبق كله،ماما.. ها هي داليا حبيبتك تفتح شهيتك اليوم.

ثم نظرت لداليا وهي تقول بحزم:

- وكذلك أنت.

كان الجو كله يبعث في داليا الأمل.. عرفت أن لينا تركت منزل والدها منذ ثلاث سنوات، وأنها تعمل مراسلة صحفية لمجلة دير شبيجل.. قالت لينا:

- لا أجني الكثير، لكنه يساعد على المعيشة..

ثم أردفت بحزن:

- أصبح البيت لا يطاق.. أصبح محمد الناغي صعبًا، ضربه رحيل خالد في مقتل..

مسحت يدها بمنديل، وردت داليا:

- رحيل خالد مفهموم للجميع.. كونه يعود لإسرائيل بهذه الصورة أمر مؤلم.. كان عليه الوقوف بجانبكم..

غصت بحلقها..

- خاصة بعد اختفاء رائد.

ربتت رئيفة عليها، وقالت بصوت رخيم:

-لا تسيئي الظن بخالد، فقد مكث معنا عشر سنوات..لم يكن شقيق لينا فقط، بل كان يعتبر رائد ابني أكثر من شقيقه.

دمعت داليا لدى ذكر اسم رائد، زوجها وحبيبها.. مازلت تتذكر صوته الحنون وهو يحكي لها عن ذكرياته في دمشق، بعد وفاة والده ذي الأصول الفلسطنية.. أتى لألمانيا وهو في نحو العاشرة من عمره، مع أمه التي تزوجها محمد الناغي، لترعى طفلته ذات الثلاثة أعوام.. كان يعتبر لينا شقيقته، ويتدخل كثيرا لحل المشاكل بينها وبين خالد

شقيقها.. يحكي لها في البداية أنه لم يتقبل خالد الذي جاء إليهم وهو في الثامنة عشر.. إلا أنه سرعان ما جمعتهم الصداقة. ثم يبدأ في إقناعها بمصالحته.

كان يصغر خالد بأعوام قليلة، ويعمل مثله في اللوفتهانزا.. مازلت تتذكر صوت رائد الهامس وهو شبه نائم..

إلى أين؟

سأشترى بضعة أشياء من المتجر المقابل.. ليس لدينا شيء للطعام..

كان قد مر على زواجهما عدة أيام.. وحينما عادت، وجدت الشقة في حالة مزرية، وثمة دماء تلطخ الأرضية.لم يعرف أبدا أحد أين اختفى زوجها رائد الجارحي، وماذا حدث له.

أفاقت من ذكرياتها المريرة، ولينا تمد لها يدها بالموبيل..

- جاءت لي هذه الرسالة منذ عدة أشهر!

"لينا، عليك بالبحث عن داليا بأي طريقة.. لدي معلومات عن مكان رائد."

اتسعت عينا داليا وهي تصرخ:

- هل مازال حي؟.. رائد حي؟ لينا أخبريني!

ردت لينا وصوتها أقرب للبكاء:

- الرسالة منذ عدة أشهر.. حاولت الاتصال بعدها بخالد دون جدوى.

فكرت داليا، وهي تغوص في كرسيها..

- مؤكد أن محمد الناغي يعرف عنوانه!

ربتت لينا على ظهر داليا بحنان:

- عرفت منذ عدة أسابيع سر اختفاء خالد.. اعتقله اليهود في سجونهم، ولا نعرف التهمة. حاولت ماما رئيفة أن تحثه على السفر لإسرائيل بعدها، لكنه رفض. تعرفين أن بابا استاء كثيرا من خالد بعد رحيله وزواجه من يهودية أيضا..

تدخلت رئيفة:

- الناغي يحاول الهروب من ماضيه وكينونته.. ينسى أنه يحمل دماء فلسطينية.. تعرضت بعد ذلك لحادث السقوط، وخرجت من المشفى للإقامة مع لينا،.... حبيبتي لينا.

دق جرس الباب.. أتى الصوت من الانتركم..

- لينا، هلا فتحت الباب؟

امتقعت وجوههن وتمتمت لينا في تعجب: - بابا!

*****

جلس حاتم على الأريكة.. لا يوجد أحد في المنزل سوى ديان، التي اختفت في غرفتها.. همس:

- أحسن..

يشعر تجاه ديان بنفور لا يعرف له سببًا.. شعر باختناق لوجوده معها وحدهما، فاتصل بسلمى.. لا يوجد أحد بالعالم يستمع له مثل سلمى.

- أين أنت يا حبيبتي؟

- في المستشفى.. نوبتجية يا حاتم.

تنهد بعمق..

- أنت ابنة أحد أغنى أغنياء البترول؛ لما تعملين ولا تبقين في المنزل هادئة وديعة، تشذبين اظافرك وترتدين أجمل ما لديك، وتخفين لاستقبال زوجك العزيز؟

ضحكت سلمى، وقد احمر وجهها:

- نفس السبب الذي يجعلك ترفض أموال والدي وعمك، وتصر على إكمال الشقة بنفسك.

كان يحب بساطة سلمى.. تلك البساطة التي جعلتها تقبل بشقته البسيطة في زهراء مدينة نصر. طال صمته، فسألته في حنو:

- ما بك حبي؟

يحب سماع هذه الكلمة منها..

- لا شيء.. قدمت الجهاز الذي صرفت كثيرا عليه.. أحد قطع غيارات الطائرات الحربية التي نستوردها بـ ٧٠٠ ألف دولار وتكلفته لاتتعدى الـ ٧٠٠٠٠ جنيها

هتفت سلمى:

obeikandl.com

- أنت عبقري!

قال بحزن:

- وهذا العبقري لم يستمر طويلا معيدا في الفنية العسكرية.. كنت أتوقع مكافأة سخية، لكنها لم تتعد الألفين جنيها.

ضحك متهكما..

- وقد صرفت على الأبحاث وحدها نحو خمسة آلاف جنيها.

لم تسطع سلمى أن ترد عليه.. تعلم أن حاتم مجتهد، هذا ما تحبه فيه، ولا تفهم أبدا كيف لا يقدرون جهوده.

أكمل:

- وما زاد حزني، أني وجدت موبيل عمي.. سلمه لي حارسه فتحي، قبل أن يترك العمل. تعلمين أن عمي كان مولع بتصورينا في إفطار الجمعة الذي يجمعنا.

قالت بهمس:

- أمامي ساعة لإنهاء عملي.. هل مررت عليّ لنخرج قليلا؟

همس:

-هل نذهب لشقة الزهراء؟

ردت سلمى:

- مطلقا -تضحك- كف عن العبث!

تنهد بخفوت..

- ظننت أن قلبك قد رق لحاتم المسكين.. أين أنت؟

- في مستشفى رابعة العدوية

- حسنا ساكون عندك بعد ساعة

*****

تقلبت ديان في فراشها..لم تخرج اليوم.. تشعر بوعكة ما.. مكتئبة قليلا.. لم تعد ذكرياتها مع خالد تؤلمها، بل تزايدت بداخلها رغبة الانتقام من هذا الوغد. أتزوجها لأنها تشبه داليا كثيرًا؟!

شعرت ببعض الجوع، نزلت حافية وهي ترتدي شورت قصير وتي شيرات يكاد يغطي خاصرتها. سمعت همسًا.. إنه حاتم يتحدث في الموبيل.. أصغت السمع.. تعجبت.. ألم يخبروها أنه يعمل في القوات الجوية؟.. إنه مهندس طيران!..

همت بالرجوع إلى غرفتها، حين أتى حاتم على ذكر الموبيل،

فشهقت بخوف. كيف فاتها هذا؟..كيف نسيت أن الليثي صورها وهي تقول إنها لاعلاقة لها بهذه العائلة وأنه تشابه أسماء؟.. تبًا لتلك المهمة، ما هي إلا مبرمجة كمبيوتر تجيد عملها.

حتما حاتم لم يشاهد الفيديو بعد، وإلا لكان له رد فعل بشكل ما. انسحبت بهدوء،دخلت غرفة حاتم، بحثت عن الموبيل حتى وجدته.. إنه مميز للغاية. وضعته في جيبها، وأعادت ترتيب الأشياء، وهمت بالانصراف، حين اصدم ظهرها بحاتم، الذي ظهر فجأة.

غمم بذهول:

- ماذا تفعلين في غرفتي؟

وجلت للحظة، وتملك الرعب قلبها..

- غرفتك!.. ظننت أنها غرفة عامر!

ألقى نظرة على ثيابها، ثم أشاح ببصره عنها وأعطاها ظهره.

- وماذا تفعلين في الغرفة التي ظننت أنها غرفة عامر؟

قالت بصوت أقرب للعنج والدلال، بعد أن لاحظت تأثيرها عليه:

- أبحث عن شاحن للموبيل.. هذا هذه جريمة؟

- حسنًا، هل خرجت رجاء؟

لم تخرج ديان، بل مضت تجاهه وهي تطوق خصره بحنان، وتلقي برأسها على كتفه.

obeikandl.com

الفصل العشرون

تـصفـيـة

لقد تأخرت.. هتفت سلمى بغيظ.

رد حاتم بغيظ: ربع ساعة لا تعتبر تأخيرا

أغلق باب السيارة. عادت سلمى:

- كنت أظن أن العسكرية تعني انضباط المواعيد.

قال، وهو يجز على أسنانه: دعك من العسكرية الآن.

كان مؤشر السيارة يتجه إلى المائة وعشرين.. قالت:

- هل خففت السرعة قليلا..

أوقف السيارة في طريق مظلم هادئ.. نظر لوجهها البرئ، ثم جذبها إليه وقبلها بعنف.. لم يفق إلا على دموع سلمى وشهيقها. ذهل من نفسه.. ترك السيارة وأخذ علبة سجائره.. أشعل واحدة. لا يعرف ماذا اعتراه، تلك الديان حركت غريزته، لقد لفظها بعنف وسبها، آمرا إياها أن تخرج من غرفته، وحينما لم ترضخ جرها من شعرها لخارج الغرفة..لم ينس أنها ابنة عمه وأن هذا بيت عمه.

لكن لماذا على سلمى المسكينة أن تدفع ثمن ضعفه؟ لماذا عليها أن تدفع ثمن إحباطه واعتلال مزاجه؟ إنه يحبها، ولكنه يشعر أنه يخدعها بتمسكه بشقة الزهراء الصغيرة. هو لم يعتد هذا النمط من الحياة، والأرجح أن سلمى لن تعتاده وهو يتحجج بضيق ذات اليد كثيرا، حتى

obeikandl.com

تعرض هي عليه الإقامة في الفيلا.. يريد أن يكون العرض بالضغط عليه، ولكن إلى متى يحتمل؟ تذكر أمر سلمى.. أطفأ سيجارته، وعاد للسيارة.. وجدها تنتحب بصمت، وقد أشاحت بوجهها.لم ينبس سوى:

- لماذا كل هذا البؤس؟.. لاتنسي أني زوجك.

نظرت له نظرة مؤنبة..

- زوجي لا يأخذني عنوة على جانب طريق مظلم.

حينما أوصلها لمنزلها، هتفت بصوت غاضب:

- أنت لا تؤتمن.

صكت باب السيارة خلفها،لم ينتظرها حتى تدلف للمنزل.. كان غاضبًا منها ومن نفسه، عاد لفيلا الندى، فوجد ديان تنظر من شرفة الفيلا وتدندن بلحن ما، وقد أضاء القمر جسدها المثير، وكأنها تنتظر فريسة ما. أدار سيارته مرة أخرى، وهو يغمم: - تبًا لك من أفعى.. يبدو أن عليّ أن أجرب حياة شقة الزهراء منذ الآن.

*****

تثاءب حاييم موفاز وهو ينتظر في الحي القديم.. كانت الساعة تشير لنحو الرابعة صباحًا بتوقيت تل أبيب. تقدم منه أحدهم، أشقر الشعر نحيل للغاية، دلت عيناه الزرقاوان على برودة متناهية، برودة قاتل محترف. تسلم منه المظروف.. صورتين أحدهما لامرأة عربية عجوز، وصورة أخرى لفتاة شابة بملامح مختلطة. همس ينفض غبارا وهميًا عن سترته..

- عليك بقتل العجوز أولًا، ثم الفتاة، ثم..

أكمل النحيل بنفس البرود:

- أن أجعل الأمر تم كجريمة ثم انتحار.

غمز حاييم بعينيه بخبث وهو يعطيه بعض المال

- هذا الجزء الأول والجزء الثاني بعد التنفيذ. إذا حدث خطأ ما.. أنا لم ألتقيك، مفهوم.

أومأ براسه تفهمًا، وهو يتجه بخطى ثابتة، حيث تقيم ليلى ويائيل،

بينما مضى حاييم موفاز وهو يصفر في مرح.. ستنجح خطته للتخلص من ليلى وتهديداتها، وبالمرة من يائيل. لم يغفر لنفسه قط أن تكون له طفلة من عربية.. مهما كان ولاؤها لهم، تظل عربية قذرة تستحق الإبادة

*****

أغلقت يائيل التلفاز نحو الرابعة والنصف صباحًا.. شعرت بملل رهيب.. لماذا تفعل بنفسها هذا؟ هل تخاف بشدة من حاييم موفاز؟ اعتادت حياة الليل ولم تشتكِ..لم تظفر بشئ من مراقبة ليلى، فهي تقريبًا لا تخرج، إلا المرة الوحيدة التي عادت تبكي، سمعت نحيبها من الشرفة المجاورة. هناك شيء غريب بشأن إقامتها.. حاييم لا يطلب منها أي شيء، ولا يجبرها على شيء، لا اتصالات ولا غيرها.

أطفأت نور الشقة، وذهب للتأكد من إغلاق الباب، ولم تنس أن تلقي نظرة من العين السحرية. ابتسمت، فهي تفعلها كل ليلة لتؤكد

لنفسها أنها تراقب جيدا.. فركت عينها لتتأكد مما ترى.. ذلك المتشح يعالج شقة ليلى بمهارة ويفتحها.. يدخل بهدوء خلفه، ثم ارتطام وصرخة خافتة.. من فوهة الباب المفتوح ظهر وجهه ليلى المرتاع.. وقدمي المقتحم. فتحت يائيل الباب.. أنبت نفسها: غبية.. ما الذي يقحمك في المشاكل؟ أشارت لها ليلى، فخرجت من شقتها، ودلفت من باب شقة ليلى.

كان ملقى على الأرض شاب نحيل، يحمل الملامح السلافية.. ارتعشت يائيل، أمسكتها ليلى من رسغها وأجلستها، جست نبضه..

- فارق الحياة

أشارت يائيل..

- كيف؟!

شعرت بشئ مريب عند الباب..

- عادة أحمل هذا الصاعق. يبدو أنني صعقته في قلبه، فتوفي على الفور.

فتشت جيوبه، فلم تجد سوى العنوان وصورتين لها وليائيل..

- ماذا كان ينوي؟

سألت يائيل بخوف

هزت رأسها مستخفة..

- صورتان لامرأتين، ومبلغ من المال، وورقة أخرى مدون عليها بقية المبلغ.

أمسكت موبيله وضحكت في جنون..

- الوغد صور بطريقة ما لقاءه بحاييم موفاز. يبدو أنه كان ينتوي ابتزازه لاحقًا.

ارتعشت يائيل أكثر، وهي تدرك ما يحدث.. انتفضت..

- عليّ الذهاب.

أمسكتها ليلى من رسغها..

- حياتك في خطر، أي هروب سيجعلك هدف سهل.

فاضت دموع يائيل:

- اللعنة! كم أكرهكم جميعا..كم أكره هذه البلد.. رضيت أن أعيش على الهامش، فقط أريد أن أعيش!

همست ليلى:

- ستعيشين يا يائيل. أعدك أنك ستعيشين حياة تستحقينها.. حياة كريمة وفي بلد آخر. أنت ضحيتي الكبرى يائيل، كما هو خالد ابني ضحيتي.. يوما ما سأخبرك من تكونين بالنسبة لي.

مسحت يائيل دموعها، وهي تلقي نظرة على المسجى أرضًا..

- لا تتعبي ذاتك.. أعلم من أنت، أخبرني حاييم.

- وهل أخبرك أنه والدك؟

قالت يائيل من بين أسنانها:

- هذا الوغد لا يصلح أبا، كما لا تصلحين أما.. علينا أن نعالج أمر هذا.

وأشارت إلى الجثة الملقاة..

- يجمعنا خطر واحد.. ثم تساعديني على الخروج من هذه البلد.

أخرجت النقود من سترة القتيل، ووضعتها في جيبها..

- لن يضرني ماله.

ثم استعادت رباطة جأشها..

- ماذا نفعل بهذا؟

- احمليه فقط معي لمغطس الحمام..

قالتها وهي تفكر في يائيل.. انتهازية، تحمل جينات حاييم ولا شك.

ما إن ألقته يائيل معها في المغطس، حتى تساءلت:

- والآن؟

قالت ليلى دون أن تلتفت إليها..

- اذهبي واخلدي للنوم.

وهي تنتزع سترة التمريض من المشجب..

- ولا تنسي أن تغلقي باب شقتك جيدا.

ارتعدت يائيل، وليلى تنتزع ملابس القتيل بمهارة، وبمشرط حاد..

همست لنفسها: هذه المرأة قاتلة محترفة.. لا أصدق قصة أنها صعقته في القلب بالصدفة!

obeikandl.com

همست ليلى لنفسها: ستأخذ الكثير من حمض الكبرتيك المركز أيها الوغد.. فرغت الحمض ببطء، ثم ملأت المغطس بالماء ليعمل المحلول على التحلل، ثم غطست قدميه. رأته يذوب.. غمغمت:

- تحتاج عدة ساعات، وبعدها أفرغ المغطس بشَدة واحدة من هذه السلسلة. أحتاج الآن للنوم.. أتوق للنوم بشدة. علِّي بقتلك أكون كفرت عن شيء من آثامي.

ليلى لم تكن بالممرضة العادية يوما، بل كانت تقود عمليات التعذيب بمهارة للأسرى العرب. تذكرت كم صعقت من أعضاء، وقطعت من أطراف.. بكت وهي تتذكر أن خالد حبيبها سيتعرض لنفس المصير.. مصير قررته هي لمئات من الأسرى.

*****

دلفت سلمى من باب الفيلا باكية.. كان سالم الجارحي يجلس مفكرًا فيما يفعله بأوامر من الوزير وأتباعه، لا يجرؤ على مخالفتهم، فهو جزء من منظومتهم.. يملكون عليه من الأدلة ما يضع القيد في يده، ومازلوا يملكون قوة القضاء عليه. مرت سلمى أمامه، فانتبه، ولكنها لم تنتبه إليه!.. ناداها:

- سلمى.. ألا تلقين تحية المساء على بابا؟!

اختنق صوت سلمى بالبكاء، وهي ترتمي في حضنه، تروي خجلة ما فعله حاتم. لم تعتد إخفاء شيء عن والدها. احتوى وجنتها بكفه برفق..

- بريئة أنت سلمى مثل أمك..-ربت على كتفها-.. سأتكلم مع حاتم.

قالت من بين دموعها: لا بابا.

ضحك أبوها..

- لا حبيبتي.. سأتعجل الزفاف. عليه أن يتقبل الزفاف في الفيلا لدينا.

- سيرفض بابا

قرصها بخفة من وجنتها..

- لدى بابا وسائل تجعله يقبل.

قالت في تأكيد: لن يقبل..

قبلت يدي والدها، وتساءلت هل يقبل حاتم هذا؟.. هزت رأسها نفيًا.. مهما كان حنقها على حاتم، فهي تعلم عزة نفسه، وأنه سيصر على الزفاف في شقته البسيطة، وبأثاث بسيط. ضحكت، وهي ستقبل.

صلت العشاء، وشربت كوب اللبن الدافئ الذي تحبه.. أضاء جوالها برقم حاتم.. أجابت:

- نعم؟

همس:

- سلمى، هل أنت بخير؟

أجابت:

- بخير تام.. يريد أبي التحدث معك غدًا.

- عن ماذا؟

obeikandl.com

- اسأله.. تصبح على خير.

أغلقت الخط بهدوء، ثم الهاتف كله، ونامت وعلى وجهها ابتسامة.

رن موبيل حاتم.. رقم عامر

- حاتم، أين أنت؟

- في شقة الزهراء.

- لماذا؟

- لا شيء، عليّ الاعتياد، لأني سأتزوج بها قريبا.. أراك غدا.

لم يفهم عامر حديث حاتم المقتضب، لكن نزول ديان بملابسها أفهمه الوضع بوضوح. اعتصر قلبه الحزن، وندى تخرج من المطبخ تحمل شطائر لتأكلها في التراس، دون أن تكلف نفسها أن تسأله هل أكلت، بل نادت ديان وتجاهلته تمامًا.

*****

ارتمت لينا في صدر والدها.. غمغم:

- ابنة قاسية..

ثم قبَّل رأس رئيفة بمودة.

تعرف داليا أن الناغي يبدو قوي الشكيمة، تعرف أن هذه النفس أرهقتها الحروب والقتل في فلسطين.. جاء هنا ليبحث عن ذاته، بعد تجربة زواج فاشلة وزوجة خائنة، ليتزوج تلك الألمانية الثرية، التي تركته بعد عامين ولقت حتفها، تاركة ثروتها لابنته لينا.لم يتزوج رئيفة

عن حب، بل واجب نحو صديقه.. ووجد في ابنها تعويضا ضئيلا عن ابنه. تخلى عن جنسيته، واحتفظ بالجنسية الألمانية.. كان يريد حياة جديدة، بعيدًا عن كل صراعات الماضي. حتى عاد خالد.. رفض عودة ابن الخائنة، وطرده من منزله.. صار خالد بالنسبة له ماضٍ يتهرب منه، وخيانة لامرأة ضربت شرفه بمقتل.. لولا رئيقة وإخلاصها وإصرارها على ضم خالد لأسرتهم. تقبل الأمر، واعتبر خالد امتدادًا له، حتى اختفى رائد، وقرر خالد العودة لإسرائيل.

يومها ضربه في وجهه.. اذهب يا ابن ليلى.. اذهب لتنتزع أمك من أحضان عشاقها اليهود.لم يتسامح مع هجران خالد أبدا، وصار عصبيًا يثور على أي شيء أو دون شيء، حتى طرد لينا هي الأخرى. كان يزداد بؤسًا واكتئابًا، ولولا وقوف رئيفة بجانبه لقتل نفسه من زمن بعيد.

اتسعت عيناه وهو يتبين وجود داليا..

- ابنتي الحبيبة..لم أرك منذ زمن. كيف حال الليثي؟..

طفرت عينا داليا بالدموع..

- مات عمي منذ نحو شهرين.

جلس الناغي وهو يتمتم:

- كان رجلا طيبًا، قوي الشكيمة، عملنا فترة طويلة معًا.لم يفرقنا سوى رفضه زواجك من رائد.. معه حق، من يزوج بنته لفلسطيني؟!

قالت لينا بغضب:

- بابا، كلنا نحمل الدم الفلسطيني.

همس بضعف..

- أبوك متعب لينا..متعب لا يعرف ما يقول..

ثم نظر لرئيفة..

- ورفيقة عمره تركته..

رفت عينا رئيفة بالدمع..

- ومن يجرؤ على تركك يا محمد يا ناغي.

نهض متعبًا يقبل رأسها، فأشارت لينا لداليا، وارتدت سترتها وأحضرت لداليا سترتها..

- علينا تركهما الآن يصفيان الخلاف بينهما..

ثم ضحكت..

-لم أعرف لأبي قلبًا، يبدو أنه يحب هذه الصابرة عليه، وقد ابتليت به وبأبنائه.

كانت الثلوج تغطي الشوارع بطبقة خفيفة، وقد وقفت عربة صغيرة على جانب الطريق، في مدخل المترو، تبيع البطاطس المحمرة والمايونيز. اشترت لينا لها واحدة ولداليا واحدة..

-لم تأكلي طعامك.. هذا يفي بالغرض.

ضحكت داليا لبساطة لينا. كم تغيرت هذه الصبية!

اتكأت على أحد الدبب الخشبية..

obeikandl.com

- والآن، ماذا سنفعل؟

قالت لينا وهي تأكل بنهم أصابع البطاطس..

- الأسبوع القادم سأغطي مؤتمرًا طبيا هاما، يستمر أسبوعًا.

- أين؟

- في تل أبيب نفسها.. وفرصة لأمر على ليلى أم خالد، قد أحصل على بعض المعلومات. تقيم في شقتها، كنت أحادثها وأحادث خالد. في الفترة الأخيرة، ردت على الهاتف ثم أغلقته. وراءها شيء مريب.

وضعت داليا نصيبها في يد لينا..

- أكملي هذا..

أخذته منها بامتنان، بينما سألتها داليا:

- سأعود غدًا للقاهرة، كيف سأظل على اتصال بك؟

هزت كتفيها..

- أمر سهل.. الإنترنت لم يترك مجالا لعدم التعارف.

ضحكت داليا بمرارة.. لاتعرف ماذا تخبئ الأيام لها. هل ستعود مرة أخرى يا رائد؟.. تذكرت حاتم شقيقها، فاكتئبت بصمت.Fine modulo

obeikandl.com

الفصل الحادى والعشرون

خيـانـة

نظرت ديان لسيارة حاتم الصغيرة، التي توقفت لبرهة ثم مضت.. ضحكت باستهزاء، أشعلت سيجارة، ثم شغلت اللاب لتكتب تقرير اليوم. الأمور تسير بطريقة طيبة.. حركة تمرد يشتد عودها.. ندى تنشط نشاطا ملحوظا بين طلاب الجامعة، وسارة تتقبل كثيرا من الأفكار، وتنشرها بكل براعة في برنامجها.. ختمت رسالتها: نحن ملوك السخرية.

أنهت عملها وأطفأت سيجارتها، ثم نزلت على صوت ندى.. نظرت لعامر الذي جلس يقلب في التلفاز، ثم دخلت مع ندى إلى التراس.

هتفت:

- شطائر لذيذة، شكرا ندى.. تحتاج لقليل من البيرة للهضم

غص حلق ندى..

- بيرة!

ضحكت ديان وأشعلت سيجارة، وقدمت واحدة لندى:

- جربيها، خفيفة.

قالت برفض غير حقيقي..

- مضرة بالصحة.

غمزت ديان بمكر..

- وكذلك الهواء.. وكذلك عامر الجالب للنكد.

غممت: نعم

ثم أخذت السيجارة!

ديان:-

هل فكرت بعرض سارة للعمل بالقناة التي تعمل بها؟ يحتاجون مراسلة في الجامعة.

أومأت ندى وهي تأخذ نفسًا عميقا من السيجارة:

- نعم، وسأذهب معها غدا للقاء مديرها.

نظرت لها ديان بمكر..

- هذه ليست أول سيجارة.

احمر وجه ندى، فضحكت ديان وهي تبتسم ابتسامة صفراء، وأعماقها تهمس:

- ليتني أسقيك السم أيتها الدلوعة!

*****

دخلت سارة مكتب أشرف العنتيل.. ابتسمت وهو يقول:

- تعالي يا سارة..

فتح غرفة جانبية بزر بجانبه، فهتفت سارة بانبهار للغرفة الفندقية الضخمة المترفة، وكأنها لا تمت بصلة تماما للمكتب ذي الأثاث العملي، بل هي أشبه بشقة صغيرة ملحقة به.

جلست سارة على الأريكة، وهو يحضر دفتر شيكاته.. خط لها مبلغا كبيرًا، جعلها تهتف..

- هذا كثير!

قال وهو يستلذ بالسيجار، ويجلس بقربها:

- أنت متميزة.. برنامجك يحظى بجماهيرية واسعة، لفظة خرفان على لسان كل شخص الآن.. لك فضل في ذلك يا سارة.

وضع السيجار جانبًا.. قبلها على خدها ويده تربت على ظهرها، فلم تمانع. لكنها ارتعشت وهي تنظر للباب الذي أغلق، وصوته كالفحيح في أذنيها..

- لا تقلقي، الغرفة مصمتة، لن يسمعنا أحد.

جلست سارة في سيارتها على جانب الطريق، ورقم وائل يرن بتواصل. أغلفت الهاتف.. نظرت إلى مرآة السيارة ثم بصقت على نفسها.. قادت سيارتها حيث تسكن في الرحاب، لم تسمع صوت أمها، بل دخلت إلى الحمام، ووضعت نفسها تحت الدش الساخن، لعلها تخلص جسدها من الساعات الماضية، دون جدوى.

وهي تمشط شعرها، سألتها أمها:

- سارة، أأنت بخير؟

نظرت لها بتعجب..

- بخير. نعم بخير.. سأذهب للنوم..

حينما وضعت رأسها على الوسادة، ترددت كلمة الحارس الصباحية لها:

- صباح الخير آنسة سارة.

*****

عادت سلمى من دوامها في مستشفى رابعة حوالي السابعة مساءً، لتفاجأ بحاتم يجلس مع والدها. مازالت تشعر بالخجل والغضب منه.. ناداها والدها آمرًا:

- سلمى..

اقتربت بهدوء وهي تصافح يد حاتم، وقد ضغط بمكر على يدها وعيناه تنظر لوجها المحمر في معابثة..

يحب حاتم هذا الاحمرار الذي يشوب وجه سلمى.. ربما أحبها لهذا.. ولكنه لم يفهم أبدأ هذا الغضب الشديد الذي ارتسم على وجهها، ونظرة التأنيب في عينيها، ووالدها يخبرها بموافقة حاتم بعد إلحاح على الزواج الأسبوع القادم، والإقامة في فيلا سالم الجارحي.. لم يفهم وقوفها بعصبية وهي تقول:

- لا أعتقد أنني سأتزوج الأسبوع القادم.. إذا اتفقت مع حاتم على الإقامة هنا، فابحثا عن عروس أخرى..

ثم ألقت عليه نظرة غاضبة ثانية، فنظر إليها نظرة أشد غضبا، وهو يصرخ في وجهها..

- من تظنين نفسك؟

انفجر الوضع فجأة، وهي تهتف:

- وهل تظن أني أغفل عما تفعله؟

وتبدلت نظرتها لاحتقار شمل حاتم من رأسه لأخمص قدميه.. التفت لوالدها الذي وقف مشدوهًا، وحاتم يمضي مبتعدًا.

صرخ سالم:

- سلمى، هل جننتِ؟

التفتت سلمى إلى طيف حاتم وقد تلاشى من أمامها، والباب يغلق بعنف خلفه. تسمرت قدماها وأطنان من الرمل تسمرها مكانها، وهدير سيارته يشق سكون مدينة الرحاب. نظرت لوجه والدها الغاضب، ثم للباب مرة أخرى..

دارت رأسها.. ماذا فعلت؟.. غممت: حمقاء يا سلمى حمقاء.. انطلقت في أثر حاتم لفيلا الندى، التي تبعد شارعين عن فيلا الجارحي على قدميها، وصوت أبيها يأتيها من بعيد.. سلمى!

أوقف حاتم سيارته.. كان غاضبًا.. توجه لفيلا الندى، واتصل بعامر، الذي أخبره أنه في الطريق، ثم اتصل بندى، فأخبرته أنها في مقابلة مع قناة تليفزيونية..لم يتوقع أن يجد أحد، ولكنها كانت هناك.. ديان

في الصالة..حين هم بالصعود لغرفته نادته باستعطاف..

- حاتم.. إنني أعتذر.

نظر إليها مليًا

- عن ماذا؟..

- عما حدث بالأمس.

اقترب منها..

وأنا أيضا أعتذر..

اقترب منها، وشدها لاحتضانها.. اندهشت ديان في البداية، إلا أنها بخبرتها عرفت انه غاضب، وأنه ينفث عن غضبه، وهذه فرصتها.. قبلته، فاستجاب لها.. نسي عامر، نسي عمه، وغاص في أحضان ديان مستجيبًا لها، صاعدًا معها لغرفته.

*****

وقفت داليا تبحث عن مفتاحها أمام لفيلا الندى.. رأت سلمى مقبلة عليها والدموع في عينها..

- ماذا حدث؟

- تشاجرت مع حاتم.

نظرت لسيارته خارج الفيلا، وهي تفتح الباب:

- غالبا هو في غرفته.. اصعدي إليه

وربتت على كتفها بحنو مبتسمة:

obeikandl.com

- إنه زوجك يا سلمى، ومع ذلك، إن أساء الأدب، نادي فقط داليا.

لم يستمع حاتم لطرقات الباب الخافتة، وقد ألقى سترته، وديان تفك أزار قميصه وتمطره بقبلاتها..لم ينتبه على فتح الباب، وصرخة ملتاعة تشق أذنه ووجه سلمى أمامه غير مصدق لما ترى، وقد أسرعت داليا في أثرها، واتسعت عينها على آخرهما.

تحجرت الدموع في عيون سلمى، وطارت كالريح.. جرى في إثرها، أوقفها في منتصف الشارع وهو يلهث ويتلعثم.. يصرخ بداخله أن لا لا لا لا لن يفقدها.. نظرت له بجمود، وصفعته على وجهه، فتجمع المارة بفضول.. تركها تمضي، ووراءها ندم شديد يعتصر قلبه، ويلقيه في ألف متاهة.

وفي الفيلا، كانت ديان تنظر باستفزاز لنظرات داليا المحتقرة، ولم تحاول أن تغلق أزار بلوزتها المفتوحة.

قالت داليا من بين أسنانها بغيظ:

- حقيرة!

حينما رأت حاتم بالأسفل متحاشيا نظرتها، ويلملم ملابسه على عجل، ويخرج من فيلا الندى، لم تحاول منعه.. كبتت دموعها..

- يا لك من شقي يا حاتم، قضيت على آخر ما تبقى لك من رصيد عندي.

*****

خطت يائيل هركابي خطوات واثقة نحو مكتب حاييم موفاز.. استقبلها بابتسامة مزيفة وهو يكظم غيظه. جلست وهي تضع ساقًا فوق ساق.

- أبي العزيز!

ردد كلمتها وقد تجهمت ملامحه..

- أبي العزيز!..

قالت في مرح..

- لا عليك! فلم آتِ من أجل هذا.. بل من أجل هذا.

نظر للفيديو المصور له مع القاتل، فكتم مفاجأته بصعوبة، وقال:

- هل هذا تهديد يائيل الجميلة؟

- بل ابتزاز يا عزيزي. التكنولوجيا جعلت أمر نشر أي فيديو سهلًا بضغط زر بسيطة.

ضحك بغل..

- وبالطبع اتخذت تدابير لهذا في حالة اختفائك.

همست في إصرار:

- إذا لم أخرج من هنا خلال ١٥ دقيقة على الأكثر.

رفع حاجبيه:

- والمطلوب؟

obeikandl.com

قليل من المال لن يضيرك، بل سيؤمن لي حياة أخرى خارج هذا البلد.

وضعت يائيل رقما ما أمامه لحسابها البنكي.

نظر لها بذهول وهي تتمتم:

- على أن يكون الرقم بالدولار.

مضت، وهم برفع مسدسه على ظهرها، لكنه تراجع وفمه يزبد من الغضب.

obeikandl.com

الفصل الثانى والعشرون

خـالـد الـنـاغي

جلس محاولا الاستناد على جزء من جسده المثخن بالجراح، في حجرته المظلمة، ينزف في صمت. يتذكر لماذا هو هنا. من البداية هو ضدهم.. ضد كل خيانات أمه.. منذ كان في الثالثة عشر من عمره وهو على اتصال بالمقاومة الفلسطينية، يساعدهم في كثير من العمليات الاستشهادية داخل إسرائيل.. قهرته خيانة أمه، وتخاذل أبوه.. كلاهما باع الحلم بثمن بخس.. هو يدفع الثمن لعله يتطهر.. تذكر ديان.. ديان ضحية مثله، كان يأمل يومًا أن يخرج بها من هذه البلد العفنة، فرغم ما زرعوه في عقلها، بها جزء يستجيب. كان سينفذ عملية الضفة ويخرج برائد من هنا.. هو من ورط رائد بكل هذا. عاش عيشة اللاهي لم يجذب له الأنظار أبدا، وانشغل في دراسة الطيران في ألمانيا..عرّف رجال المقاومة على رائد، دون أن يظهر هو في االصورة.. كان يحتفظ بأسراره لنفسه.

هز رأسه مؤنبًا.. يعرف أن رائد كان شديد الحب لوطنه، وأن المانيا لم تمثل له أبدا وطنًا بديلا.. تذكر داليا، وعدها أن يعرف مكان رائد.. خمس سنوات وهو يعمل على هذا، وهو لا يستطيع الآن إنقاذ نفسه.

عادت ديان لذهنه بقوة.. في البداية، تزوجها لأنها تمنحه غطاءً.. تذكر رغبتها في إنجاب طفل، ورفضه الدائم.. كان يؤجل كل هذا لحين

يخرج من هنا، ويعرف ديان على عائلتها المصرية. يريد أن يتصل بها بأى طريقة، يعتذر لها.

تذكر أمه.. هز رأسه نفيًا، فهو لايثق بها، وقد تكون هي من وشت به. برقت في ذهنه فكرة ما.. ابتسم.. لعلها تكون حلًا.

اعتادت عيناه الظلمة..ابتسم مرة أخرى، لن تكون أسوأ من ظلمة القبر يا خالد. اعتدل ليصلي.. الصلاة هي الشيء الوحيد الذي يريح آلام جسده ونفسه.

*****

نظرت يائيل باستغراب لتلك الشقراء الأجنبية التي تدق جرس باب شقة ديان من أسفل البناية.. تساءلت من؟

فأجابت الشقراء.. ديان، أنا لينا الناغي شقيقة خالد.. هل أنت ديان؟..

فتحت لها يائيل الباب، ثم باب الشقة. تفحصت يائيل لينا الناغي، ببنطالها الجينز الأزرق، وسترتها البيضاء الخفيفة.. أواخر إبريل في تل أبيب يناسبه تماما هذا الملبس، الذي بدا ملائمًا تماما للشقراء الجميلة. تأملتها لينا بدورها.. بشرة زيتونية، وعيون واسعة، مع فم رقيق.. تساءلت:

- ديان؟

افسحت لها يائيل الباب..

- تفضلي..أنا صديقة ديان..

دخلت لينا متوجسة، وقد انفتح الباب المقابل، فهتفت يائيل شاهقة..

- إن ليلى تراقب كل حركة.. ليلى، هذه لينا الناغي..

أغلفت ليلى شقتها مسرعة، وذهبت لشقة خالد وديان. تفحصت لينا المرأة التي سببت عذابًا لأخيها وزوجها.. حدجتها ليلى بنظرة منكسرة، وهي تقول في نفسها: ترى، ما أخبرك خالد عني؟.. لا بأس أن تنهال عليّ الاف السياط، فأنا أستحقها. تقبلت عدم مودة لينا، التي جلست بهدوء.

- أعمل كصحفية، وصلت لأغطي مؤتمر طبى هنا في تل أبيب..

ثم سألت بتوجس..

- أين خالد؟ انقطعت أخباره عني منذ شهور.

آلمتها تلك الدموع في عيني ليلى، وذلك الإحباط في عيني يائيل.. شيء ما يخيف في القصة. ألقت نظرة على صورة خالد الضاحكة، ثم لفتت نظرها صورة أخرى لخالد وزوجته. أمسكت الصورة بتساؤل، ويائيل تقول:-

- بالطبع هذه ديان..

سكتت لينا، ديان تكاد صورة مطابقة لداليا الليثي.. استغربت الشبه.

قالت ليلى في فتور:

- هلا جئت لشقتي لنتحدث قليلًا؟

أومأت لينا بتفهم، وهي تعتذر ليائيل، التي شعرت بالحرج وهتفت:

- اذهبي معها، ولكني لست أكثر خطرا على خالد من أمه وزوجته.

صعقت لينا للرد، وليلى تعقد حاجبيها في غضب. أكملت يائيل بتردد:

- ديان هي من سلمته ليلى.. هى من سلمت خالد للشين بيت.

جزعت ليلى وهي تسقط على الاريكة:-

- مستحيل!.. كاذبة.. ديان من صدمتها سافرت لأمها!

ضحكت يائيل بتشفٍ..

ألم تذكر لك صديقها راؤول.. ألم تنتبهي أيتها الغبية؟

نظرت لينا بتساؤل، وقلبها يخفق هلعًا..

- هل قبضوا على خالد؟..بأي تهمة؟

أغمضت ليلى عينيها وهي تبكي بحرقة.. أمسكتها يائيل بعنف..

- لسنوات وسنوات عرفت أن بيننا رابطة ما.. نسيت كيف تغيرت معاملته بعد طردي؟.. جاء كمن يعتذر.. كمن اكتشف سرا ما..

أبعدتها لينا برفق عن ليلى..

- اهدئى.. أنتم تتسببان في ارتباكي.. أولا القبض على خالد - زوجته هي من سلمته.. ما العلاقة التي تربطك بأخي؟

قالت يائيل بخفوت، وكأنها تخشى أن تسمعها الجدران:

- نفس ما يربطك به.. هو أخي أيضًا.

*****

obeikandl.com

جلست لينا تلهو بعد حبيبات الأرز في طبقها، وهي تتناول وجبتها في الفندق.. انتبهت على رنين الهاتف، ثم جاءها صوت مديرها مارك..

- تغطية جيدة لينا.. أريدك أن تجري حوارًا مع بروفسير إدوارد فيتزبرج

قالت بفتور: نعم.

تساءل مارك: هل من خطب هناك؟

شرحت الأمر ببساطة لمارك، فسكت لبرهة يستوعب ما قالت، ثم قال:

- انتظري مني ردًا لينا.. ينتهي المؤتمر في الخامسة مساء غد.. لديك يوم إضافي.. سأرسل لك من تستطيعين الاتصال به في تل أبيب لمعرفة مكان أخيك.

كانت مصدومة من موضوع يائيل.. تساءلت في مرارة:

" كيف احتملت كل هذا يا خالد؟"..

تذكرت شخصيته التي كانت تميل للمرح واللهو.. تعجبت من تحوله ومن ثورته يوم اختطاف رائد، فقد عاش بصورة الشخصية اللامبالية بقضية فلسطين على منوال أبوهما محمد الناغي.. ظل على اتصال بها بعد رحيله لسنوات.. وذلك الشبه الذي يربط زوجته بداليا يحيرها.. كم حنقت لزواجه منها. تنهدت..

كيف لك أن تثق بهذه اليهودية يا أخي؟

*****

قرأ حاييم موفاز الرسالة التي وضعت أمامه..

صحفية المانية تدعى لينا الناغي تجري اتصالات واسعة في تل أبيب، وتتهم إدارة الأمن بخطف شقيقها خالد الناغي وشخص آخر منذ خمس سنوات، اسمه رائد الجارحي.

ابتسم ابتسامة صفراء.. بقي فقط عدوه القديم ليأتي بنفسه، محمد الناغي. هز رأسه.. لكنه لن يفعلها، إن فلسطين تعني له ليلى بكل خياناتها. خط بضع كلمات لمساعدته..

"يسمح لها بزيارة رائد الجارحي"..

- انتهينا منه ولن يضيرنا أن نفرج عنه قريبًا، فعاجز مصاب بالشلل يكلف إسرائيل أكثر ما يفيدها..

وقهقه كشيطان

*****

استيقظت داليا على رنين الهاتف في السادسة..طالعها رقم غريب من خارج مصر. حينما أتاها صوت لينا عبر الأثير، شعرت أنها تنتقل لعالم آخر..لم تصدق نفسها!

- لقد وجدته داليا.. وجدته.. لكن تقلع طائرتي الآن من تل أبيب لبرلين.. لن أتركه حتى أخرجه من هنا.. سيرسل أبي وفدًا من أمهر المحامين الدوليين له ولخالد. داليا، هل تسمعينني؟

أومأت داليا وهي تبكي..

- هل هو بخير

سارعت لينا..

- عليّ الرحيل الآن.. سأتصل لاحقًا.

*****

استيقظت ندى على صوت بكاء داليا، قامت إليها مفزوعة..

- هل هناك شيء؟..

أضافت واجمة..

- هل حاتم بخير؟

همست داليا:

- وجدوه!

سألتها في دهشة: من؟

- رائد

احتضنتها ندى بفرح، وبكت معها، ثم نظرت للساعة.. مازال الوقت مبكرا، لكنها فرصة لبعض المذاكرة، فقد اقتربت الامتحانات.

- هل ترغبين بشيء معين للإفطار؟

ربتت داليا على يدها..

- سأنام قليلا، فعندي رحلة بعد غد.

تركتها ندى، أخذت دشًا سريعا، وأعدت لنفسها شيئا للإفطار، واصطحبت كتبها معها. كانت ما تزال ناعسة.. رشفت قليلا من الشاي

obeikandl.com

باللبن وهي تجلس في التراس.. لم تعد غير الشاي باللبن للإفطار، من بعد وجبة الإفطار العامرة التي كان يحضرها والدها.

جففت دموعها بهدوء، ويد تمتد لها ببضعة شطائر من الجبن والبيض والمربى.

نظرت بفرح لليد الممدوة، ثم غصت وهي ترى عامر.. تجاهلته وهي تتظاهر بالتركيز في كتابها. ضحك عامر وهو يترشف كوبها.. غضبت، ثم ضحكت، لأنه كان هكذا دائمًا، يصحو متأخرا، وأول ما يفعله هو شرب كوبها.

تناولت الشطائر بمرح وهي تشعر بارتياح، شوهه صوت ديان التي وقفت على باب الشرفة، وهي تخرج دخان سيجارتها.

- أرى أنكما تصالحتما..

نظر لها عامر نظر غاضبة:

- ديان.. أخبرتك مرارا أني أكره رائحة السجائر، وأننا لسنا عائلة مدخنة.

نظرت ديان نظرة جانبية ماكرة لندى، التي احمرت وجنتاها، وهي تطفئ سيجارتها. توقعت منه حاضرة رجل شرقي، لكنه لم يفعل.. ربما لم يعتبرها أخته حقًا. ينصب كل اهتمامه على ندى، التي وجه لها كلامه..

- ندى، هل لديك محاضرات اليوم؟.. سأذهب للجامعة في الثامنة.

اعتذرت ندى..

- لدي فقط موعد مع حركة تمرد في الثانية ظهرا في الأوبرا.

تنهد في خفوت..

- سأحضر معك.. انهي محاضرة لي، ثم في الثانية تماما أوافيك هناك. وضع باقي مشروب الشاي باللبن أمامها وهو يبتسم. نظرت له ديان نظرة جامدة، تخفي كرهها له، انصرف، ونظرت لندى بكره أكبر وهي تعاود التهام الشطائر بنهم، وتشرب بقية المشروب.

شعرت بالقرف والحسد

*****

نظرت ماريان لسارة وهي تخطو باتجاهها.. صارت أكثر اهتماما بملبسها، ترقبها العيون باهتمام، فقد استطاعت خلال أسابيع قليلة خطف الأبصار ببرنامجها. حينما جلست، رأت تلك النظرة المنكسرة في عينيها، ولم تفهمها..ابتسمت لها، وديان وندى تقتربان، وفي أثرهما وائل.

جلس وائل وهو يركز ببصره على سارة، التي تحاشت النظر إليه، وهو يردد بعض هتافات وقفات البلاك بلوك.

- يسقط يسقط حكم المرشد.. أنا مش كافر أنا مش ملحد

قال عامر وهو يقف خلف ظهره:

- من كفرك؟

انتفض وائل كمن لدغته عقربة..

- نهايتكم ٣٠ يونيو

ضحك عامر في خفوت:

- وجه كلامك للإخوان!

احتد وائل أكثر..

- دم بدم. دم بدم.. رئيسك فاقد شرعيته بدم جيكا وكريستي والجندي وأبو ضيف

صعق عامر وندى لعبارة دم بدم!

- محمد مرسي لم بقتل أحدا.. وقف الاسطوانة المحفوظة.

تدخلت ندى بحدة:

- عامر، هل لنا أن ننصرف؟

كانت عبارة دم بدم تدوي في أذنها.. نظرت لديان..

- سأذهب

وقف عامر بعيدا ينتظرها...بينما همست لها ديان بغيظ:

- عامر يفسد كل شيء كالعادة..

ردت ندى:

- ليس هذه المرة..

نظرت نظرة خاوية لوائل..

- كله إلا الدم..

ثم اكملت حديثها لسارة:

obeikandl.com

- اعتذرى لمستر أشرف..

ومضت في اتجاه شقيقها، تلاحقها نظرات ديان المغتاظة، وهي تشاهدها تحلق بعيدا عن السرب. ابتسمت بمرارة، وهي توجه نظرها للحضور، الذين نظروا للأخوين باحتقار، ثم عادوا يمسكون بالاستمارات أمامهم.

*****

لم تتوقع سلمى أن تجده أمام مستشفى رابعة، يتكئ على سيارته ويدخن سيجارته بهدوء.لم يكن قد غير بدلته العسكرية.. نادى عليها، تجاهلته وهي تسير بخطوات واسعة بطريق شارع النصر.. هرع وارءها وهو يلهث..

- سلمى!

قالت بفتور:

- دكتورة سلمى.

تنهد..

- سلمى.. إنها الثانية عشر ليلًا.. كيف تتأخرين هكذا؟

قالت بغيظ:

- وما شأنك أنت؟

رد بهدوء:

- لا تنسي أني زوجك.

ضحكت سلمى بتهكم:

- أم يطالبك والدي مرارًا بالطلاق؟

- وقلت له إني لن أطلق.

زفرت سلمى بعمق وهي تقول:

- أنت لا تطاق..

حاولت الإشارة لتاكسي، فأمسك يدها وهو يحاول إيلامها..

- سأطلقك بعد أن أتزوج ديان.

آلمته الدمعة التي التمعت في عينها، بقدر ما أسعدته. مسحت دموعها بسرعة، بعد أن أطلق يدها، وأوقفت تاكسي لتغيب بداخله ويغيب طيفها.

غمم بهدوء وهو يعود لسيارته ليتبع التاكسي الذي أقلها.. اطمأن على وصولها، والتقت عيناه بعينها وهي تدلف للفيلا، مازالت تبكي. أنب نفسه.. أنت غبي يا حاتم، لكنك تحبها أيها الغبي، ولن تتركها.

قاد سيارته لشقته في زهراء مدينة نصر بهدوء.

الفصل الثالث والعشرون

سـلـمـى

- سلمى!

جاء صوت أبيها ليزيد بؤسها.. التفتت إليه والدموع تغرق وجهها البرئ. حدق بها لبرهة، ثم احتواها وهو يربت على ظهرها..

- حاتم مرة أخرى؟.. لم ينتظر اجابة منها، نظر إليها مليًا..

- سلمى، هل أسعى للصلح معه؟.. واضح أنه مازال يحبك، وأنت كذلك يا ابنتي.

قاطعته في هدوء، ومازلت عيناها تلمع بالدموع، فتزيد المه...

- ستظل حياتي مع حاتم مزيدًا من الألم.. لا شيء سوى الألم.

ربت على وجنتها في حنان.. يؤلمه وضع سلمى. هو مشغول بما وضع نفسه فيه.. ورطوه لأنهم يملكون ضده الكثير.. لا حيلة له في لعب دوره مع بقية رجال الأعمال..سينفذ؛ لكنه بحاجة للابتعاد حتى تنتهي الأمور، فإن فشل الأمر سيخسر كل شيء. من سيحمي سلمى ساعتها؟

لاحظت سلمى شروده فنادته برفق:

- أبي!

رد بابتسامة:

- ما رأيك في السفر معي لفرنسا الأسبوع المقبل؟.. عشرة أيام.. وبعدها أخلصك من هذا الغبي -إن أردت- للأبد.

قالت في إصرار، وقلبها يرتجف بداخلها..

- لا يا أبي، فقد اتخذت قراري.. عدني فقط عندما تعود أن تخلصني من حاتم للأبد.

ربت على يدها..

- انت ابنتي الملاك يا سلمى.. فقط أشيري بإصبعك. الآن، ماذا تطلب أميرتي للعشاء؟

ابتسمت بود..

- أكلت، لا رغبة لي بالمزيد.. أستأذنك لأني مرهقة..

تابعها في إشفاق.. يعرف أن قلبها لا يوافقها على قرارها ويتعذب. دخلت إلى حجرتها، فألقت بحقيبتها على سريرها.. حانت منها التفاتة لصورة حاتم.. مسحت بيدها على وجهه الوسيم وتنهدت وهي تغالب مزيدا من الدموع - كيف فعلت هذا بي؟

*****

استيقظت يائيل على صوت الهاتف.. جاء صوت حاييم موفاز:

- تم تحويل المبلغ..

ودعت النوم وهي تغمم: حياة جديدة.. بلد جديدة.. بعيدة عن كل هذا.. ضحكت: أين؟.. نظرت للمرآة.. لا يهم.. أترك هذه البلد أولا ثم أقرر. استدارت لترتطم بصورة خالد وكأنه يراقبها.. ابتسمت..

- على الأقل شيء تريده سيتحقق.. سأودع حياة الليل.

أما حاييم موفاز، فقد ترك الهاتف من يده، وقد ارتسمت على وجهه كل آيات الشر. عاود الاتصال بالبنك..

- هل كل شيء على ما يرام؟

*****

زفرت ندى في حنق، وهي ترد على عامر:

- أين أنتِ؟

- في طابور البنزين.. فشل.. رئيس فاشل.. وزارة فاشلة..

- اهدئي.

- سأنزل ضده يا عامر، انتهى.

غمم عامر وهو يرقب ديان التي تشاهد التلفاز.. نظرت له بعيون نصف مغمضة.

- هذه البلد تسير في طريق مظلم..

مضت ساعة، قبل أن تدخل ندى. كان الحر والإرهاق يكادان يقتلانها.. أشارت بإصبعها محذرة..

-سانزل الاتحادية يوم ٣٠ يونيو..لم يرد، فقد رن جواله مرة أخرى..

- داليا!

- عامر، أنا في المطار.. لدي رحلة تغادر بعد ساعة ونصف. للأسف، نسيت حافظتي وبها أوراق مهمة، وندى لا ترد على الموبيل؛ هل تستطيع إحضارها، رجاء؟

نظر لندى وقد ارتمت على الأريكة، شرح الأمر ببساطة، فطالما ندى هنا فهي أولى بإحضار الحافظة.

قالت ندى باستعطاف:

- ديان، هل فعلت لي معروفا.. ستجدينها في درج الكومودينو الخاص بداليا.

ومضت عينا ديان، وهمت بنشاط.. كانت حجرة داليا بلون زهري.. غممت ديان هازئة:

"لونك المفضل يا خالد"

وجدت الحافظة، وفتحتها بسرعة تبحث عما بها.. اتسعت عينا ديان على الصورة التي تجمع بين داليا وشخص آخر.. شخص لا يشبه خالد أبدا!

أفاقت على صوت عامر، نزلت بسرعة وهي تعطي عامر الحافظة.

التفت عامر لندى..

- هلا اعطتيني مفاتيح سيارتك؟.. فقد أوشك البنزين في سيارتي على النفاد.

نظرت له بغيظ..

- قل إنك ستنزل معي يوم ٣٠ يونية.

أجابها بسرعة:

- أكيد لن أتركك تذهبين وحدك.

فألقت له بمفاتيح سيارتها، وهي تنفخ.

بعد أن غاب.. كان شيء يكاد يفتك بديان.. قالت ندى:

- جائعة

تجاهلت ديان الأمر وهي تقلب التلفاز، وتسأل في حذر:

- هل ارتبطت داليا بعد اختفاء زوجها؟

فتحت ندى عينها..

- لا لا

ثم عادت تسأل:

- ماذا لدينا للطعام اليوم؟..

ثم مضت باتجاه المطبخ وهي تتفقد الأواني.. مضت ديان في أثرها..

- هل أنت متأكدة أنها لم ترتبط بعد خالد؟..

وضعت ندى أمامها طبقا مملوءًا بالطعام، وقالت غير مركزة فيما عدا بطنها الخاوية..

- طبعا متأكدة، وزوجها لم يكن اسمه خالد..

نظرت إلى ديان، ثم عاودت الأكل..

- من أين أتيت باسم خالد هذا؟

قالت ديان بارتباك:

- ذكر أحدهم هنا اسم خالد الناغي.

obeikandl.com

وضعت ندى معلقتها وهي تنظر لديان باهتمام..

- الناغي الذي أعرفه كان شريكا لوالدي، وقد اختلف معه في موضوع زواج رائد لداليا.. لكنني لم أعرف أن له ابنا اسمه خالد!.. رائد كان ابنا لزوجته على حد علمي..

عادت لطبقها، تعبث بالملعقة أكثر مما تأكل..

-لما كل هذه الأسئلة؟..هل أخبرتك داليا شيئا؟.. لاتكادين تتحدثين معها!

ضاع صوت ندى وديان تتركها.. أرادت أن تتحدث إلى حاييم موفاز، لكنها تراجعت.. هل تم خداعها؟.. ترقرقت الدموع في عينيها، وعاد خالد يحتل رأسها بقوة وألم!

*****

ارتدت ندى تي شيرت بألوان علم مصر.. كانت الساعة تشير إلى الرابعة عصرا. سألها عامر:

- هل مازلت على رأيك؟

أجابت بتصميم:

رئيسك فاشل يا عامر.. إنني أفعلها من أجل مصر.. لا يستحق أن يكون رئيسها.. هل تذهب معي؟

غمم

- سأفعل.. -ثم سأل- أين ديان؟

أجابت:

- في حجرتها، تقول إنها مريضة..لا ترتاع.. هي مكتئبة قليلا.

سأل في خفوت:

- ألن تنزل؟

- لا، لن تنزل.

فى الاتحادية، وقفت ماريان ووائل، ولدهشة عامر، وجد سامر هناك. نظر له متعجبا.. بادله سامر نفس النظرة، رفع عامر يده..

- لا لم أفعل.. هنا من أجل شقيقتي.

سخر سامر: - ظننت أنك هنا بسبب أزمة البنزين.

ضحك عامر..

- ابتدأت في الحل اليوم.. هل أنت هنا من أجل البنزين؟

أجابه..

- لا، فقط نوع من النزهة.. الجميع خرج للفسحة.. هل هذه ثورة والجميع يتسابق على شرب الكولا والعصائر؟.. ثورة ما بعد السادسة.

ضحك عامر وأخته تحضر له بعض العصائر، وهي تهتف بفرح:

- الشرطة يحملوننا على الأعناق.. يثورون معنا.

نظرة ألم كست عينيه، قابلتها نفس النظرة في عينى سامر!

الفصل الرابع والعشرون

انــذ ا ر

سألت ماريان ندى، التي كانت تجلس في مكانها المعتاد:

- أين ديان؟

- في المنزل، لا تكاد تبرحه.

جلست ماريان وهي تطلب لنفسها بعض المرطبات..

- إنها الثانية. باقي ساعتين وينتهي إنذار الجيش.

نظرت لها ماريان وهي تهز رأسها في فتور..

- سينتهي الأمر بانتخابات رئاسية مبكرة.

راقبتها ندى باستغراب..

- لا يبدو عليك الحماسة!

هزت كتفيها..

- لا شيء.. تعلمين أني وسامح شاركنا في مظاهرات ٢٥ يناير وماسبيرو ومظاهرات ضد العسكر، لذا لدينا دائما حساسية من تدخل الجيش.

مطت ندى شفتها..

- أي شيء نقبل به، مقابل أن نتخلص من هؤلاء الفشلة.. لكن أين سارة؟..لم تعد تحضر أي لقاء!

obeikandl.com

غممت ماريان..

- نصيحة، انسِ سارة.

ثم ارتشفت مشروبها بعمق، وبعدها أكلمت بابتسامة ودودة

- كان قرارًا جيدًا أنك رفضت العمل في تلك القناة.

نهضت ماريان فجأة..

- سامح هناك يشير إليّ، هو مكتئب بعض الشيء.

هزت ندى كتفيها:

- لا عليك..

رن موبيل ندى..

- عامر..

- أين أنت؟

في دار الاوبرا.. لا شيء أفعله، أقابلك في المنزل.

كان عامر في المنزل، وديان -كعادتها في الآونة الأخيرة- تجلس باكتئاب تقلب قنوات التلفزيون دون اكتراث. بها شيء من الحزن لا يعرف له سببًا. نظر لها بعطف وهو يأخذ الريموت من يدها..

- ديان.. ما بك؟

نظرت إليه بدهشة.. له نفس النظرة الحنون التي يرمقها بها خالد.. نظرة طالما أشعرتها أن العالم بأمان.. نظرة افتقدتها في دموع طفولتها القاسية.. بقدر ما أسعدتها مزقتها.

obeikandl.com

بكت بحرقة وألم، وجسدها يهتز بعنف.. بكاءً هستيريًا لا يتوقف، وعامر يحاول أن يهدئها وقد فاجأته عاصفة البكاء، وجلوس ديان على الأرض، ولم يشعر بدخول داليا، التي عادت من السفر، وتسمرت وهي ترى الانهيار الذي تعانيه ديان. ألقت حقيبتها بسرعة، وهي تحاول دعم ديان، التي نامت في وضع جنيني.. مسحت دموعها برقة، وأزاحت الشعر المبتل عن جبينها، ثم مسدت جبينها بقليل من العطر. حملاها معا بسرعة، ثم وضعاها هي وعامر على الأريكة في التراس، لتستنشق قليلا من الهواء.. تركت عامر معها، لتحضر لها كوبا من الينسون.. وضعته بين يدها:

- اشربيه..إنه مهدئ لكِ.

نظرت لها ديان بامتنان..لم تشعر بمثل هذا الاهتمام من بعد خالد.. تنهدت، وسكين يخترق قلبها.. نظرت لندى، التي دخلت متسائلة:

- ماذا يجرى هنا؟

تمتمت ديان:

- أنا بخير، لا عليكم.. فقط تلقيت أخبارًا محزنة عن أحد الأصدقاء.

همست داليا:

- يبدو أنه صديق قريب لك.

تنهدت ديان بحزن:

- أقرب مما تتصورين!

رن موبيل داليا:

- داليا، أنا لينا، وصلت الآن مطار القاهرة.لم اخبرك قبلا.. لكن رائد سيخرج غدا، وسأستقبله غدا آخر اليوم من منفذ طابا..

لم تصدق نفسها.. ردت داليا بفرح:

- سآتي لآخذك من المطار.

- بل صفي لي المنزل، وسآخد تاكسي.

هتفت داليا بمرح:

- رائد سيعود.. سيعود يا ندى.. سيعود يا عامر..

نظرت لها ديان بأسى.. وهل ستعود يا خالد؟.. هل ستعود لمن باعتك؟.. لكنك بعت وطني يا خالد، فلما يقتلني الحزن عليك؟.. لكن هل جلب الوطن السعادة لهذا القلب كما فعلت أنت؟..

صراع رهيب يدور بداخلها، وهي شاردة عمن حولها..لم تشعر بالعيون التي تعلقت بها وهي تهذي.. لم تشعر حتى بيدي ندى وداليا يسنداها، ولم تشعر بنفسها وهي تغوص في السرير لتنام بعمق.

حينما استيقظت على الأصوات بالأسفل، كانت الساعة تشير للعاشرة مساءً.. أخذت تنظر إلى السقف لا تريد الحركة.. بدأت تعي ما حدث قبل تنام.. متعبة، تحتاج لغسل ذهنها تمام من كل تلك المعلومات المتكشفة. البحر، الرمال.. تل أبيب! أين هي.. تفتقدها وتشعر كم هي بعيدة.

اغتسلت بسرعة، وارتدت ملابسها، وقد قررت الخروج في الشوارع الهادئة لتتريض قليلا، لعل النزهة تفيدها بعض الشيء.

حينما نزلت، لاحظت وجود تلك الأجنبية الشقراء، التي بدت لها مألوفة للغاية. كان صوت عامر مرتفع وغاضب:-

- لقد وضع مصر في مأزق..لم يلتفت لفصيل آخر.. وضع الجميع على المحك.

ردت ندى:

-لم نتوقع هذا.. ربنا يستر!

قالت الشقراء بعربية واضحة:

- هذا وأد واضح للتجربة الديمقراطية في مصر.

نزلت ديان السلم، وقد التفت الجميع صوبها، قامت ندى لتساعدها.

- ديان!

همست لينا بصدمة.. كانت ديان قد نسيت أمر الشبه بداليا، واعتبرته صدفة.

- تعالي حبيبتي.. - تابعت ندى وهي تمسك بيدها وتقدم لينا-.. لينا الناغي.. ديان أختي.

قالت لينا بدهشة وبقسوة:

- أختك!

obeikandl.com

أطبقت في رقبة ديان بعنف، وسط دهشة داليا وندى وعامر، الذين خلصوا رقبة ديان بصعوبة. هي منهم التي تعرف من هي.. تعرف، لأنها أخت خالد.

قامت ديان بسرعة، وخرجت من الباب هاربة، وسط صيحات لينا:

- لا تتركوها

تعلم ديان ماذا تفعله في حالة كشفها.. هناك منزل آمن قريب، وشخصية أخرى، وجواز سفر آخر لفتاة شقراء.

أنجزت الأمر في دقائق، واتجهت للمطار، لتستقل أول طائرة تغادر مصر.

*****

لم يستوعب حاتم الأمر، ولينا تحكي أمامه عمن هي ديان الليثي، اليهودية الديانة، الإسرائيلية الجنسية، التي غدرت بأخيها خالد الناغي، بينما انتابت ندى حالة من الذهول وعدم التصديق.

أخذ حاتم عامر جانبًا..

- حاتم، أليس علينا إبلاغ السلطات؟

رد حاتم بخفوت:

- أمر كهذا سيضر بمستقبلي.. لن أستطيع.

هتف عامر..

- ماذا؟!

ربت حاتم على كتفه:

- البلد في حالة غير مستقرة الآن، سنبحث الموضوع لاحقًا.

غادر المنزل وهو يتجه لمنزل سلمى.

كانت داليا في حالة غريبة من الحيرة، فهي تجمع ملابسها لتذهب لطابا، ومنها لشرم الشيخ، والرحيل لألمانيا مع رائد. أخبرت حاتم، فمط شفتيه بعدم اكتراث.. تؤلمها حالة ندى وصدمتها في ديان.. هي لم ترتاح لديان منذ البداية، وإن تعاطفت معها اليوم.. لكن أن يظهر أنها يهودية وإسرائيلية، فالأمر فوق استيعابها.

كانت ممزقة بين رغبتها في لقاء رائد زوجها، وبين تركها لندى في حالة الصدمة التي تذهلها.. وضعت آخر شيء بالحقيبة، ولينا تربت على كتفيها.

- هناك شيء لابد أن تعلميه؛ رائد تعرض لتعذيب رهيب..

دمعت عينا داليا..

- تعذيب!

- نعم داليا.. إنه يعاني شلل كلي.

هتفت داليا في ارتياع:

- وحوش!

احتضنتها لينا وهي تبكي..

- نحمد الله على عودته.. استطعت الوصول إليه، لكن خالد لم أستطع حتى الآن، لكني لن أيأس.. لن أيأس أبدًا.

*****

أوقف حاتم سيارته بجانب فيلا سالم الجارحي.. كانت سلمى تجلس في الشرفة، تشرب عصيرا ما، حينما رأت سيارته. دخلت، وأغلقت النافذة.. دخن سيجارته بهدوء وهو يغمم:

- عنيدة، ولكنك لي.. ستظلين لي شئت أم أبيت. سيعود أبوك في السادس من هذا الشهر، بعد ثلاثة أيام.. علينا أن نحسم أمر عملك في مستشفى رابعة، فقد صار الخطر كبيرًا.

حينما احس بحركتها وهي تفتح النافذة ثم تغلقها، ضحك، وقاد سيارته إلى شقته في زهراء مدينة نصر.

obeikandl.com

الفصل الخامس والعشرون

حـافـيـة طـبـريـة

كانت نحو التاسعة مساءً، حينما أنهى حاتم اتصاله مع موظفة الاستعلامات بمستشفى رابعة العدوية. أخبرته أن دكتورة سلمى ستنهي عملها في العاشرة مساء. يفعل هذا كل مساء، يعرف موعد خروجها، ينتظرها، تتجاهله.. تركب تاكسى، فيمضي في أثرها حتى تصل المنزل. لا يعرف سبب القلق الذي يأكل صدره. سيعود والدها غدا، وعليه أن يحسم الأمور.. لا يرتاح أبدا لهذا الوضع.. هو لن يطلق، وهي تعلم هذا.. غير عملها في هذه المستشفى، الذي يعتصم أمامه أنصار مرسي. لا يعرف كيف تتطور الأمور، إذا ما علموا أن الطبيبة التي تقسم ونهارها وليلها بين مستشفى رابعة والمستشفى الميداني زوجة ضابط جيش.

حاول أن يسير بجانب التاكسي، حانت منه التفاتة لها.. بادلته النظرة، ثم ولت وجهها إلى الجهة الأخرى.

حينما وصلت، أطفأ نور سيارته.. نزلت، وهي تسير بقامتها الهشة صوب المنزل المظلم.. لايعرف ما الذي يحبه بها.. شيء تملكه سلمى ولا تملكه غيرها..طالما منَّى نفسه أن يتزوج ملكة، لا هم لها سوى جمالها، لكنه اختار سلمى. ابتسم بحزن، فرغم أنها قريبة منه للغاية، إلا أن بينه وبينها أميال صنعها غباؤه. حينما أضاء المنزل.. هم بشتغيل

السيارة.. دوت صرخة من داخل المنزل. اختلج قلبه رعبا.. تذكر السلاح الذي تسلمه..

سمع صراعا من الداخل، فضرب رتاج الباب برصاصة سريعة..

كانت سلمى ملقاة على الأرض، وذلك الملثم يحاول تكبيلها..

استقرت رصاصة حاتم الثانية في فخذه، بينما هرعت سلمى بوجهها الباكي تلوذ به. أزاحها برفق كي يكبل اللص.

بعد أن أنهى الأمر مع الشرطة، عاد إليها.. مسح برفق على شفتيها يعالج الجرح الذي أصابها من ضرب اللص. تنهدت سلمى للمسة أصابعه.. برقت عينه، مازالت تحبه.

خرج من أفكاره على صوتها..

- إنها الثانية صباحا، عليك بالرحيل.

قال في مداعبة:

- الباب لا يغلق.

نظرت برعب نحو الباب، وقد تذكرت ما حدث لها منذ ساعات.

اقترب منها.. تراجعت عنه.. شدها بقوة إليه، تملصت وهي تقول:

- لا تفعل!

قال بعبث أكثر:

- لا أفعل ماذا؟

لم تستطع الإفلات من ذراعيه، وهو يهمس في أذنها:

obeikandl.com

- أليس هذا من حقي؟.. ألست زوجك؟.. هل ما أفعله يخالف الشرع؟

ترقرقت الدموع في عينيها

- حاتم، أرجوك!

حملها كالريشة..

- ستسامحيني سلمى.. ستفعلين حبيبتي.

قالت بيأس:

- لن أسامحك أبدًا.

ضاع صوتها وحاتم يقترب من غرفتها..لم يستمع لتوسلها.. ولا لدموعها.. هو يريدها، ولا يستوعب أبدا أن تبقى بعيدًا عنه.. خاصة بعد حادثة الليلة، سيظل بقربها مهما حدث.

استيقظت سلمى على صوت زقزقة العصافير في السادسة صباحًا، تتساءل بذهول عما حدث لها.. كان حاتم ينام بوداعة بجانبها، عاري الصدر.. عضت أناملها.. تمتم باسمها.. تعلم أنه يحبها.. هذا الحب الذي تكره.

نزلت بخفة، وارتدت ملابسها على عجل قبل أن يستيقظ.. لن تبقى معه. كانت تمضى بلا هدف.. مرت بفيلا الندى، أرادت أن تدخل، لكنها خجلت من نفسها. ركبت للمستشفى. كانت تتصارع مع ذاتها، هي لم تفعل شيئا لا يقره الشرع.. هو أجبرها.. هزت رأسها، لم يجبرها، كانت

obeikandl.com

متعبة وبحاجة للراحة..لم يأتِ موعد دوامها بعد.. نامت في استراحة الطبيبات.

*****

وصلت ديان تل أبيب بعد معاناة.. بعثت لحاييم برسالة مقتضبة. حينما وصلت شقتها، فوجئت بيائيل تجلس هناك، فقالت ببرود:

- لا أتذكر أنني أجرت الشقة قبل رحيلي.

غمزت يائيل بعينها..

- حاييم فعل.

جلست متعبة..

- آه حاييم!

حانت منها التفاتة لصورة خالد.. نظرت له بأسى. ضحكت يائيل بخفة.. جلست بجانبها..

- حينما كنا صغارًا، كانوا يرفهون عنا بالذهاب إلى طبرية.. هل تتذكرين كيف كنا نلهو هناك؟.. كنت أصر أن أخلع حذائي على جسر طبرية قبل الدخول للشاطئ، حتى لا يبلى. لم يكن لديّ سوى حذاء واحد، بينما تنتعلين أنت حذاءك الثمين.

نظرت ديان باستهزاء..

- كانت سامنتا تبعث لي الكثير من الأحذية.. الكثير من الثياب.

obeikandl.com

ألقت يائيل بظهرها لتسترخس أكثر.. كنت أسير حافية، حتى أطلق أحدهم عليّ يومًا: حافية على جسر طبرية.

حافية على جسر طبرية.. يومها خلعت أنت حذاءك، حتى تحظي باللقب الذي أطلقه (اورى).. هل تتذكرين اورى؟.. ذلك الفتى الوسيم الأشقر ذا العيون الزرقاء.. وضعه أبوه هناك بعد وفاة أمه وترك إسرائيل.

قالت ديان بنفاد صبر، وهي تشعل سيجارتها:

نعم أتذكر اورى.. -أضافت باستهزاء- ولكني لم أنافسك على اللقب.. أنت الحافية الأشهر على جسر طبرية، هل ارتحت؟

ضحكت يائيل بأسى..

- لكنك نافستني على اورى

أطفأت ديان سيجارتها بعصبية..

- ماذا تريدن يائيل؟.. تسكنين شقتي، وتذكرين أحداثًا مرت ونحن في الثالثة عشرة من عمرنا!

دمعت عينا يائيل..

- تعلمين ما حدث لاورى بعد حادثة اغتصابي؟.. انتحر اورى.. ظل سنوات يتحمل القهر والفقر في الكيبوتس، حتى أخبرته أنت قبل أن أخبره بما حدث لي. كانت لدينا أحلام، ديان.. أن نخرج من هنا.. نعود لبولندا أرض أجداده. شعر اورى بالعجز ديان.. هل تعلمين ما هو

شعور بالعجز؟

دمعت عينا ديان لوهلة، وقد بدأت تفهم ما ترمي له يائيل، وهي تكمل:

- خرجنا أنا وأنت من الكيوبتس.. أنا كائن مهترئ ضعيف، لا يجذب غير ذباب الليل؛ بينما أنت، بحذائك الثمين، تسيرين وتنجحين، وحصلت على اورى آخر.. أعني شخصا يختارك ويحبك.. أعني به خالد.

ارتجفت ديان..

- سيخرج يائيل، سأعمل على أن يخرج.. سيعود لي.. وسنترك هذا البلد.

ضحكت يائيل باستهزاء..

- هذا الخطاب وصل اليوم، يخبرونك بوفاة زوجك، وتعجيل استلام جثته.

نظرت ديان بذهول للورقة، التي ألقتها يائيل وجرس الباب يرن وبشدة..

فتحت يائيل الباب وهي تقول:

- ليلى، مرحبا بالماما!

*****

استيقظ حاتم في الحادية عشر، فلم يجد سلمى.. كان شيء من شعرها الأسود على الوسادة.. شيء منها في كل مكان.. تمطى بكسل.. لديه نوبتجية في دار الحرس الجمهوري، تبدأ في السادسة مساءً.. أخذ دشًا سريعا، واتجه لشقته لتغيير ملابسه.. اتصل بمستشفى رابعة

ليطمئن على وصول سلمى هناك، بعد أن حاول مرارًا الاتصال على هاتفها، دون أن تجيب.

أنهت سلمى عملها في الثالثة عصرًا، ثم جلست في المستشفى الميداني، تستقبل حالات الإغماء وارتفاع ضغط الدم في المعتصمات والمعتصمين. كان اعتصام رابعة يزداد بقوة.. ترى الطبيب والمهندس والعالم والفلاح والتاجر.. تتعاطف معهم بشدة، وتكره تدخل الجيش في السياسة.. لكنها تثق أن الجيش سيصل بحل للأمور يرضي الجميع. تذكرت حاتم.. ألم تثق به قبلًا؟

كانت تراجع الأدوية الناقصة، وهي تستمتع لترتيل القرآن الكريم من أحد المعتصمين القريبين.. دمعت عينها وهي تدعو:

- اللهم عدلك ورضاك.

حاول حاتم مرارا الاتصال بسلمى.. يعرف الاوامر المشددة بألا يخرج.. يعلم أنها مازالت في رابعة.. كلم عامر أن يذهب لإحضارها، فأخبره عامر أنه بالفعل هناك، وسيحاول أن يصل إليها، ثم عاد وأخبره أنها مازالت في المستشفى الميداني، وستنهي عملها في العاشرة مساءً، لكن لديها نوبتجية مرة أخرى في مسشتفى رابعة، تنتهي صباحا.

غمم حاتم في سخط: منذ متى تبيتين خارج المنزل؟

كانت نحو العاشرة مساء، استلقى بهدوء، وسرعان ما غلبه النعاس.

لا يعرف من أين يأتي هذا الصوت!.. أيقظه أحدهم، قام في ذهول..

- ماذا يحدث؟

أجاب زميله بهدوء وتشفٍ:

- إنهم يقتلون بعض الخرفان التي تجرأت على مبنى الحرس الجمهوري.

ابتسم حاتم، ثم خبت ابتسامته سريعًا.. تذكر سلمى وعامر، اتصل برقمها بسرعة، فجاءه صوتها صارخا، ودوي الطلقات حولها، وصوت طائرة في أذنه..

- لماذا يا حاتم؟

صرخت.. حاتم

انقطع صوتها بغتة، بينما مازال دوي ضرب النيران وهدير الطائرة يدوي في أذنه. قام بسرعة وهو يقطع المسافة من مكتبه إلى البوابة الرئيسية،

وكان كل شيء قد انتهى.. الأمن المركزي يحيط بالمكان، والجنود يذهبون لخلف عمارات العبور.. لم يستوعب شيئا، فاتصل بارتعاش بعامر، فجاء صوته باكيًا، ثم انقطع الاتصال.

حاول الدخول لرابعة، وقد أحاطها الجيش من كل اتجاه. جاء صوته باكيا للضابط المسئول:

- زوجتي هناك، تعمل طبيبة.

أخبره بحزم..

- دخولك وسطهم خطر كبير ببدلتك العسكرية.

نظر لبدلته العسكرية في أسى، أسرع لسيارته ليبدل ملابسه في شقته،

حتى تمكن أخيرا من دخول رابعة.

تناثر الجرحى والموتى.. من على حق ومن على باطل؟.. ما الذي حدث وهو نائم؟.. سأل عن سلمى، فلم يعطه أحدهم جوابا،

فقد تحولت المستشفى لساحة من الصراخ والعويل وهرولة الأطباء، والدماء التي تغرق كل شيء.

وجده.. عامر.. هناك يرتكن على أحد الجدران، ويقف في صمت.

سأله في خوف:

- هل أصيبت سلمى؟

هل إصابتها خطيرة؟

هزه كتفه وهو يصرخ فيه:

- أخبرني يا عامر أين هي؟

نظر له عامر والدموع تغرق وجهه، بينما يهزه حاتم بعنف، ويصرخ:

- أيها الأحمق، كل لحظة تضيع معناها حياتها، أين هي؟

ضربه حاتم بعنف على وجهه، وعامر لا يرد. لاحظ أخيرا عينيه المعلقتين بالحجرة المجاورة، استراحة الطبيبات، ففتح بابها.. لا يوجد أحد هنا.. فقط جثة هناك في كفن عشوائي.

خرج صوته مرتعشا..

- عامر.. أين هي؟

أخيرا نطق، وهو يختنق بالبكاء..

- شهيدة بإذن الله.

اقترب ببطء غير مصدق.. رفع الغطاء.. مازالت هناك بعض الدماء المتخثرة عند عنقها.. آلمه ذلك الثقب وقد انغرست فيه الرصاصة. كان بعض شعرها يلتصق بجبينها، فنظر غير مصدق لوجهها البرئ..

- آه يا سلمى.. لم أعرف أبدا أنك بمثل هذا الجمال!

كان جسدها مازال دافئًا..طار لبه..

- اصمدي يا حبيبتي، هو جرح بسيط، ستتعافين.

صار يهذي..

- سلمى، هل سامحتني؟

قبَّل عيونها المغمضة..

- استيقظي يا سلمى.. استيقظى يا دكتورة سلمى.. تحبين لقب دكتورة، سأناديك لبقية عمري حبيبتي الدكتورة

هيا يا سلمى..كفاك دلًالا..

انهار على ركبتيه..

- أنت تعاقبيني.. كفاك، أنا لا أحتمل هذا العقاب.. أضعف من أن أحتمل هذا العقاب..

كان عامر ينظر إليه ويبكي، فقال غاضبًا:

- لا تنظر لشعر سلمى المكشوف، سأغطيه.. تعرف أنها لن تسامحني.

جلس عامر على الأرض مرة أخرى، وهو يضع رأسه على ركبته

لا يعرف ماذا يصنع..لم يهتز هكذا يوم وفاة والده.. رفع رأسه على صوت الطبيب والممرضة ينتزعون حاتم نزعًا، وهو يصرخ بهستريا

سلمى حية.. سلمى لم تمت!

obeikandl.com

الفصل السادس والعشرون

نـهـا يـة

طرقت ندى الباب عدة مرات، وقد وقف بجانبها عامر، فجاءهم صوت حاتم صارخا:

- اتركوني!

ارتعبت ندى لصوته، بينما نظر لها عامر في يأس.. قالت بارتعاش:

- حاتم، افتح أرجوك، الأمر مهم، يتعلق بسلمى.

جاوبهم الصوت المطبق.. ثم فتح حاتم الباب، وهو يفسح لهما الطريق.

لم يبدل ملابسه منذ حادث سلمى.. نمت ذقنه لحيته، بينما دلت جفونه المحمرة أنه لم ينم أبدًا.

جلس في هدوء، وهو يشعل سيجارته، بينما ذهبت ندى لفتح الستائر، فقال بضعف:

- اتركيها، رجاء.

دمعت عينا عامر، وأمسك ندى من يدها، يستمد منها بعض الشجاعة، وحاتم ينفث الدخان في الهواء، وهو يقول بتخاذل:

- لن أحتمل أن أجلس في عزاء سلمى.

ثم اكمل وبدنه كله يرتعش..

obeikandl.com

- كما لم أحتمل أن أدفنها بيدي.

تنهد، والتفت إلى عامر:

- أعلم أن والدها قد وصل، حاول أن تسانده عامر، رجاء أنت وندى.. اعتبرني ميت منذ ماتت سلمى.

مسحت ندى دموعها وهي تقول بتشنج:

- لم تدفن سلمى حتى الآن يا حاتم.. إنها في منزل والدها.

نظر غير مصدق، وعامر يقول بغيظ:

- يصرون في المشرحة على إعطاء تقرير حادث انتحار.. ذهب والدها بجثمانها مرتين وفشل معهم، الأمر يحتاج تدخلا منك يا حاتم.

لم ينظر إليهم حاتم، بل طار عبر السلم إلى الشارع حافي القدمين حتى حبيبته.. دق الجرس بعنف، وجد هناك سالم الجارحي، وقد اكتست عيناه بنظرة غريبة.. نكس رأسه حينما رأى حاتم، ولم ينبس بشيء. دلف لحجرتها، كان اللون الأزرق قد بدأ يزحف على أطرافها رويدًا، وأثر جرح صغير على شفتها يذكره بليلة اللص. حاول أن يمد يده ليلمسها، فتوقفت في الهواء.. انهار على الأرض وهو يطلق آهة قوية، فأدركه عامر، الذي هرع في أثره. أمسكه بقوة وهو يهتف به:

- إنها تحتاجك يا حاتم... تحتاجك بشدة.. لن تتركها هكذا.. أنت زوجها، اقبل التقرير. هم لن يعطونا وسامًا في الدنيا، اجعل أبوها يفهم هذا بدلا من إصراره الغبي.

نظر له حاتم نظرة خاوية، ثم قال في قوة:

- اخرج.

تلعثم عامر من التبدل الغريب لابن عمه.. صرخ فيه حاتم مرة أخرى:

- اخرج.. اطلب من ندى أن تحضر لي بدلتي العسكرية.. ستدفن سلمى، وسيخرج التقرير بالحالة الفعلية.

ارتدى حاتم بدلته العسكرية، وحمل سلمى بين ذراعيه، وقد وقفت عربة إسعاف بالخارج.. في المشرحة، رفض الطبيب في البداية، لكن أمام إصرار حاتم كتب التقرير: موت نتيجة الإصابة برصاصة في العنق. ولكنه لم يكتب أبدًا أن الرصاصة تحمل حفرا ما، ولم ينس أن يبعث اسم حاتم الليثي لمن يهمهم الأمر.. حاتم، الذي عاد لانهياره، بعدما وارها التراب.

*****

كانت ندى تقلب كوب الشاي الذي برد عدة مرات، في المقهى بدار الأوبرا.. اقترب منها ماريان وسامح، وجلست ماريان بهدوء، بينما ندى في عالم آخر. أمسكت بيدها..

- ندى!

ارتعشت ندى..

- أهلا ماريان، كيف أنت؟

- بخير حبيبتي.. كيف عامر وحاتم ابن عمك؟

تنهدت ندى..

- حاتم قبضت عليه الشرطة العسكرية.. لا نعلم أين هو بالتحديد. يحاول عامر جاهدًا الاتصال بكل معارفنا.

زفر سامح في غيظ..

أكملت ندى..

- قانون العسكرية إذا تغيب أي ظابط مدة ثماني وأربعين ساعة يتم القبض عليه.. لست قلقة عليه، فأحد معارفنا أخبرني أنه سيخضع لتأهيل نفسي ثم يخرج.. حاتم تخصص نادر لهم.

ردت ماريان تحاول كتم استنكارها...

- تقولين لهم!!

زمت ندى شفتيها..

- أعني الجيش.

تراجع سامح في كرسيه..

- الجيش ليس لهم ولنا يا ندى.. الجيش لنا جميعا، للمصريين.

تركت ندى الملعقة بعصبية..

- لا تتوقف عند كلمة.

ربتت ماريان على يدها..

- اهدئي حبيبتي.. ليس معنى أن جراتسي، بنظارته السوداء، أعطى صكًا وتفويضًا بالدم أن نقسم الجيش.

تساءلت ندى بخفوت: من جراتسي؟

obeikandl.com

ضحك سامح بهدوء:

- ألا تشاهدين الأفلام.. جنرال جراتسي في عمر المختار، ونظارته الشهيرة، وحركة فمه الجانبية

فهمت ندى من يقصدان، قالت وهي تشهق: أنتما!

اومأت ماريان:

- نعم.. نذهب لرابعة ونساندها بكل قوة.. نختلف مع الإخوان لكن جراتسي لا يقبل مبدأ الخلاف.

أنا وبعدي المقصلة.. المقصلة دارت قبلًا في ماسبيرو.

نظرت ندى في ارتياع وقد تذكرت سلمى.. ليت لي نفس شجاعتكما.

قال سامح شاردًا..

- درس تعلمناه من جيكا يا ندى.. هي موتة ولا أكثر.. تكة، ولن تشعر بشيء.

*****

دخلت ندى منزلها، وجدت عامر يقلب قنوات التلفزيون بفتور،

قال بسخرية وهو يراقب شقيقته التي جلست بخمول:

- لو جلست أمام التلفزيون يا ندى، ستخرجين بيقين أن سلمى قتلت نفسها. أخذت منه ندى الريموت، وأغلقت التلفزيون بضجر..

- عامر، ألا تفكر في الرحيل؟

قال متفاجئا: الرحيل!

obeikandl.com

ردت:

- نعم، نبيع كل شيء.. نرحل إلى بلد آخر.

بالمناسبة، اتصلت داليا.. استقرت في بيت الناغي.. تقول إن محمد الناغي تعرض لانتكاسة صحية شديدة، بعد أن علم بأمر ابنه.. لكن حماتها ترعاه وترعى معها رائد، وأن هناك أملا في الشفاء لرائد بزرع النخاع في الصين، وأنها ستستقر معه. لذا طرأت فكرة الهجرة.. ما رأيك؟

ضحك عامر وهو يعاود فتح التلفزيون..

- السفارات كلها مغلقة..

ثم عاود التعليق على صراخ أحد المذيعين، وبانر مصر تحارب الإرهاب مكتوب باللغة الإنجليزية والعربية:

- هل سمعتِ عن مشروب جديد اسمه ميرندا برسيم؟

*****

دخلت ليلى بهدوء، وقالت بصوت هادئ:

- ديان، قد عدت..

مدت ديان يدها لها، وعيونها مغرقة بالدموع..

- لقد مات يا ليلى.

تجاهلت ليلى يدها، وذهبت لصورة خالد:

- أتعنين خالد؟

obeikandl.com

وأضافت بهدوء أكثر..

- آه.. بعثوا لي بخطاب مثلك.

جلست قبالتها..

أخذت يائيل تنظر لها غير مصدقة..

- ألست حزينة ليلى؟

ردت ليلى:

- حزني سيدنس خالد.. إنه أطهر من أن تبكيه أم مثلي أو زوجة مثلها..

نظرت لها ديان بارتياع

- ليلى..لم أكن أعرف ما أفعله.. أنا غبية حمقاء.. قد يكون خبر موته أكذوبة!

نظرت لها ليلى نظرة خاوية..

- بل كلانا تعرف ما نفعله ديان.

نظرت لهما يائيل وبتشفٍ..

- ديان، تركت شريحة هاتفك هنا.. فتحتها من باب الفضول. هناك رسالة وصلت منذ أسبوع لك، أرسلها خالد عن طريق أحدهم.

مدت ديان يدها لها، بينما تردف:

- سأعد لكما بعض العصير.. اعتبراه هدية مني، فأنا راحلة بعدها.

مسحت ديان دموعها بسرعة وهي تقرأ الرسالة

obeikandl.com

"ديان حبيبتي.. لا أعرف كيف أنت.. أحبك ديان. تمنيت أن يكون لنا طفل.. سنفعل ديان.. بعض السجناء هنا نجحوا في إخراج نطفة منهم.. العملية شديدة التعقيد، ولن أحكي التفاصيل. المهم أن عملية نقل النطفات وزرعها في أرحام أربع زوجات نجحت.. أتمنى أن نفعلها ديان، وأن تحملي طفلي. سأعود يوما ديان، لأجد ابني قد كبر، وإن لم أعد اتركي هذا البلد.. اذهبي به لأبي.. هو رجل طيب رغم كل شيء. من حقك أن تعيشي عيشة أفضل من هذه ديان. سأعاود الاتصال بك.

القت ديان الموبيل وهي تصرخ وتتكور على نفسها..

- آه يا خالد

أتت يائيل على صراخها، وأخذت تضربها على وجهها عدة ضربات..

- اهدئي ديان.. لن يعيد شيء خالد، كما لن يعيد شيء اورى.. تألمي ديان، وابقي واقتصي من روحك بقية عمرك.. -نظرت لليلى- ستعيشين سوادًا تلو سواد.

توقفت دموع ديان فجأة، وهي تنظر لليلى التي جلست بصمت.. تناولت من يد يائيل العصير، وهي ترقب بخوف ليلى، التي أخذت هي الأخرى العصير.. شمته أولا، فقالت يائيل بحبور:

- كنت أود أن اضع لكما السم فيه.. لكنما تستحقان أكثر من هذا.. الأفاعي تعيش حتى التعاسة.. سيخفف من كرهي لكما قليلا أن اتمنى لكما ميتة شارون

اشربى ديان اشربى..

والآن سأرحل. وداعًا ديان.. وداعًا إسرائيل.. وداعا كل دنس في حياتي..

حملت حقيبة خفيفة لتذهب في اتجاه المطار، بينما شربت ليلى العصير، ثم اخذت تقهقه..

- الدماء العربية تجري في جسد هذه الفتاة.. ميتة شارون! يا لها من شريرة.

وضعت ديان الكوب بعد أن شربته، وهي تقول بين نهنهاتها:

- ليتها وضعت بعض السم لنا.. ميتة شارون!.. يا لها من شريرة.

سمعت صوت صرير سيارة بالأسفل، وصوت يصرخ.. نظرت من النافذة، وجسد يائيل قد تهشم تمامًا، والسيارة الفان الكبيرة، التي لا تحمل أي أرقام تبتعد.

صرخت في ليلى..

- قتلوا يائيل.. قتلوها.. قتلوها!

قهقت ليلى وهي تغني وترقص ببطء، وترسم دوائر بيدها، وتمزق بعض من شعرها ثم تطيره في الهواء..

- قتلوا الصبية.. قتلو الصبي.. والأفاعي حية.

ثم توقفت، وقد عاد إليها شيء من عقلها..

- أتعلمين ديان أن الأفعى حينما تلد، تترك صغارها لمصيرهم؟..

ثم أردفت والزبد يتطاير من فمها..

obeikandl.com

- لكنني أفعى شريرة، أعدت ولدي ليتذوق سمي.. أنا أفعى شريرة!

عادت لرقصها، وتمزيق شعرها، وصرخت ديان وهي معلقة بجوارحها بيائيل ودمائها أسفل البناية.

نظرت لصورة خالد ورسالته الأخيرة.. مرت يدها على بطنها وصرخت ألمًا..

- لقد وضعت يائيل السم لي أنا..

وقفت بصعوبة، وليلى مازالت في صخبها.. أمسكت الستائر.. شعرت أن صدرها يتمزق وأن النار تأكله.. كان خالد يترائ لها من بعيد، ابتسامته رائعة، وسنته الجانبية المكسورة.. نادت خالد.. لكنه تجاهلها، وهو يمسك يدي يائيل، ويتلاشى كالسراب.

تمت بحمد الله

obeikandl.com

أعمال سابقة للكاتبة:

- **النص العربى ٢٠١٠**
- **صانع الذهب مشترك دار اكتب ٢٠١١**
- **كتاب ثورة لايك وكومنت مشترك دار اكتب ٢٠١٢**
- **رواية احلام المطر دار اكتب ٢٠١٢**
- **شاطئ القمر قصص قصيرة دار اكتب ٢٠١٤**

obeikandl.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

Noon_publishing@yahoo.com

ت-٠٢-٣٥٨٦٠٣٧٢ ٠١١-٢٧٧٧٢٠٠٧

obeikandl.com